

كتاب الشباب

# كَنْزُ الْأَعْمَاقِ

قصص

محمد عبد السلام البقالي

مكتبة العبيكان









# كَنْزُ الْأَعْمَاقِ

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي

مكتبة العبيد

ح مكتبة العبيكان ، ١٤١٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البقالي ، أحمد عبد السلام

كتر الأعماق . - الرياض .

... ص ؛ ... سم . -

ردمك ٩ - ٢٤٢ - ٢٠ - ٩٩٦٠

أ - العنوان

١ - القصص البوليسية العربية

١٧ / ٠٢٢٧

ديوي ٠٨٧٢ ، ٨١٣

رقم الإيداع : ١٧ / ٠٢٢٧

ردمك ٩ - ٢٤٢ - ٢٠ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

حقوق الطبع محفوظة

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

قال الحاجُّ (مُومِنٌ) لِطِفْلَتِهِ (وَرْدَةُ) التي كانت تقرأُ له من  
أحدِ كُتُبِها المدرسيَّةِ :

- وَرْدَةُ .

- نَعَمْ ، يَا أَبِي .

- كَفَى قِرَاءَةً . أَقْفِلِي ذَلِكَ الْكِتَابَ ، وَاخْرُجِي لِتَلْعَبِي مَعَ  
زَمِيلَاتِكَ .

ونظرتُ وَرْدَةُ إلى أبيهَا المَرِيضِ فِي فِرَاشِهِ ، وَقَدْ غَارَتْ عَيْنَاهُ ،  
وَذَبُلَ جَسَدُهُ ، فَتَنَهَّدَتْ وَقَالَتْ :

- قَرِيبًا تَصِلُ أُمِّي لِتَبْقَى مَعَكَ ، وَأَخْرُجُ أَنَا .

نَظَرَ إِلَى وَجْهِهَا الصَّغِيرِ الشَّاحِبِ ، وَقَالَ :

- لَا تَقْلَقِي عَلَيَّ ؛ لَنْ أَحْتَاجَ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى تَعُودَ أُمُّكَ .

اذهبي أنتِ ، والعبي في الشَّمْسِ والهَوَاءِ ؛ فَقَدْ اصْفَرَّ وَجْهُكَ ،  
وَلَا أُرِيدُكَ أَنْ تَمْرُضِي .

فَأَقْلَمْتُ الْكِتَابَ إِرْضَاءً لِأَبِيهَا . وَمَا كَادَتْ تَقْفُ حَتَّى  
سَمِعَتْ صَرِيرَ بَابِ الْكُوخِ الْقَصْدِيرِي وَهُوَ يَنْفَتَحُ ، فَقَالَتْ  
مُبْتَهَجَةً :

- ها هي أمِّي وصلت !

وَأَسْرَعَتْ لِاسْتِقْبَالِهَا .

وَانْحَنَتْ (حَفْصَةً) مُتَعَبَةً لِابْتِنِهَا لِتَقْبِلَهَا ، وَدَخَلَتْ الْكُوخَ ،  
وَأَلْقَتْ بِثَقْلِهَا عَلَى حَشِيَّةِ التِّبْنِ إِلَى جَانِبِ فِرَاشِ زَوْجِهَا ،  
وَقَعَدَتْ تَسْتَرِدُّ أَنْفَاسَهَا الْمَحْبُوسَةَ مِنْ طُولِ السَّيْرِ .

وَالْتَفَتَتْ إِلَى زَوْجِهَا تَسْأَلُهُ :

- كَيْفَ تَحْسُ يَا سَيِّدِي الْحَاجَّ ؟

فَأَجَابَ رَاضِيًا بِقِسْمَتِهِ :

- الْحَمْدُ لِلَّهِ . مَاذَا فَعَلْتَ الْيَوْمَ ؟

- ذَهَبْتُ إِلَى دَارِ الْحَاجِّ الْمُخْتَارِ ، فَأَعْطُونِي جِبِلًّا مِنَ الْمَلَابِسِ  
لَأُصْبِنَهَا ! وَلَمْ أَنتَهِ مِنْهَا إِلَّا الْآنَ . غَدًا سَأَعُودُ لِأَكْوِيَهَا  
وَأَطْوِيَهَا .

فتنهَّد الحاجُّ مُومِنٌ، وترقَرَقَتْ مِنْ عَيْنِيهِ دُمْعَتَانِ، وَلَكِنَّهُ  
مَسَحَهُمَا فِي الْوِسَادَةِ قَبْلَ أَنْ تَرَاهُمَا زَوْجَتُهُ أَوْ صَغِيرَتُهُ وَرَدَّةً،  
وقال :

- وجَدْتَنِي أَقُولُ لِوَرْدَةٍ أَنْ تَخْرُجَ لَتَلْعَبَ مَعَ صَاحِبَاتِهَا؛ فَقَدْ  
شَحِبَ لَوْنُهَا مِنْ طُولِ حَبْسِهَا مَعِي .

وَنَظَرْتُ حَفْصَةَ إِلَى طِفْلَتِهَا، وَتَذَكَّرْتُ شَيْئًا، فَتَنَاولْتُ  
قُفَّتَهَا، وَأَخْرَجْتُ مِنْهَا تَفَاحَةً نَاولَتْهَا إِيَّاهَا :

- خِذِي هَذِهِ يَا وَرْدَةُ، وَاخْرُجِي لِلْعَبِّ . وَلَكِنْ لَا تَبْتَعِدِي  
كَثِيرًا !

فَأَخَذْتُهَا وَخَرَجْتُ تَجْرِي فَرِحَةً إِلَى الشَّارِعِ، وَتَوَجَّهْتُ نَحْوَ  
الشَّاطِئِ وَفِي ذَهْنِهَا فِكْرَةٌ وَاحِدَةٌ؛ هِيَ زِيَارَةُ صَدِيقِهَا (آخُتُو)،  
الْأَخْطَبُوطِ الصَّغِيرِ.



كَانَتْ وَرْدَةٌ قَدْ عَثَرَتْ عَلَى (آخُتُو) فِي بَرَكَةٍ صَغِيرَةٍ عَلَى الشَّاطِئِ أَثْنَاءَ إِحْدَى سِيَاحَاتِهَا اليَوْمِيَّةِ . فَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فَوْقَ الْحِجَارَةِ الْمُلَسَّاءِ الْمَكْسُوءَةِ بِالطَّحَالِبِ الْخَضِرَاءِ إِذْ لَاحَظَتْ شَيْئًا يَتَحَرَّكُ حَرَكَاتٍ غَرِيبَةً دَاخِلَ الْبَرَكَةِ . فَاقْتَرَبَتْ بِحَذَرٍ شَدِيدٍ حَتَّى لَا يَقَعَ ظِلُّهَا فِي الْمَاءِ ، وَلَا تَقْطَعَ أَشِعَّةَ الضُّوءِ دَاخِلَ الْبَرَكَةِ ، فَإِذَا بِأُخْطَبُوطٍ صَغِيرٍ يَلْعَبُ قَرِيبًا مِنْ سَطْحِ الْمَاءِ ، فَيَنْشُرُ أَذْرُعَهُ الثَّانِيَةَ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ حَتَّى يَصِيرَ كَالنَّجْمِ ! ثُمَّ يَضُمُّهَا إِلَيْهِ ، فَيُضْبِحُ كُرَّةَ لَحْمٍ لَزِجَةً ، ثُمَّ يَنْطَلِقُ بِسُرْعَةٍ صَارُوخٍ فِي أَحَدِ الْإِتِّجَاهَاتِ .

وَأَقَعَتْ وَرْدَةٌ تَتَفَرَّجُ عَلَيْهِ بِإِفْتِتَانٍ كَبِيرٍ دُونَ أَنْ يَرَاهَا . وَفِي حَرَكَةٍ بَهْلَوَانِيَّةٍ ، وَضَعَ الْأُخْطَبُوطُ الصَّغِيرُ أَطْرَافَ أَذْرُعِهِ الرَّقِيقَةِ مُلْتَوِيَةً فَوْقَ رَأْسِهِ ، وَوَقَفَ يُطِلُّ مِنْ خِلَالِهَا ، فَبَدَأَ وَكَأَنَّ لَهُ شَعْرًا كَثِيفًا . فَلَمْ تَتِمَّ لَكَ وَرْدَةٌ مِنَ الضَّحِكِ وَالْقَهْقَهَةِ بِصَوْتٍ عَالٍ . . .



وأفزرعه وجودها وقهقهتها، فاندفع كالسهم نحو جحرٍ  
مُظلمٍ، تاركًا خلفه سحابةً من دُخانٍ أسود.

وحين انقشعت الغمامة التكريّة، أخذت وزدةٌ تُناديه  
وتناغيه بصوتٍ عذبٍ حنونٍ.

- لا تخف يا عزيزي، لن أمسك بسوء، أنا أحبُّ  
الحيوانات كلها، وأودُّ أن تكونَ صديقًا لي، فهل تُريدُ أن  
تكونَ صديقي؟

واستحلى الأخطبوطُ الصغيرُ صوتَ وزدةٍ، فأطلَّ من ظلامِ  
جُحره بعينه الحزيتين، ونظرَ إليها وهي تمُدُّ له يدها داخلَ الماء.

وتردّدَ قليلا، ثم خرجَ بحذرٍ يدفعُ الأرضَ بأيديه الشائبةِ.  
وسمعَ وزدةٌ تسألهُ:

- ماذا تفعلُ هنا وخذك؟ أين أمك؟ لماذا لم تذهبَ معها إلى  
داخلِ البحرِ ساعةَ الجزر؟

واقترَبَ هوَ من يدها، ومدَّ يدهُ فلمسَ أصابعها بمصاصاته  
المُستديرة في فُصولٍ، وحرّكتُ هي سبابتها مدغدة ذراعه.

وَحِينَ رَأَى أَنَّ الْيَدَ نَاعِمَةً وَهَادِئَةً زَحَفَ فَوْقَهَا، وَتَرَبَّعَ وَسَطَ  
كَفِّهَا الْمَفْتُوحَةِ .

وَأَحْسَتْ وَرْدَةً بِسَعَادَةٍ هَائِلَةٍ تَغْمُرُهَا، وَتُذْفِي قَلْبَهَا لِثِقَةِ  
الْأُخْطَبُوطِ الصَّغِيرِ بِهَا، وَرَغْبَتِهِ فِي اللَّعِبِ مَعَهَا .

وَأَدْخَلَتْ يَدَهَا الْيُسْرَى فِي الْمَاءِ بِهْدُوءٍ، وَأَخَذَتْ تَرْبُتُ عَلَى  
رَأْسِهِ النَّاعِمِ الشَّبِيهِ بِرَأْسِ شَبَحٍ فِي رُسُومِ الْأَطْفَالِ الْمُتَحَرِّكَةِ،  
وَتُخَاطِبُهُ، وَكَأَنَّهُ يَفْهَمُهَا .

وَرَفَعَتْهُ عَلَى كَفِّهَا فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ لِيَسْمَعََهَا، وَسَأَلَتْهُ :

- مَا اسْمُكَ ؟

وَصَدَرَ عَنْهُ صَوْتُ يُشَبِّهُ الْعَطْسَةَ الْخَافِتَةَ، فَضَحِكَتْ وَرْدَةٌ وَقَالَتْ :

- سَأَسْمِيكَ إِذْنُ (آخْتُو) . هَلْ يُعْجِبُكَ هَذَا الْاسْمُ ؟

وَبِمُرُورِ الْأَيَّامِ وَكَثْرَةِ اللَّقَاءَاتِ بَيْنَهُمَا بَدَأَتْ وَرْدَةٌ تَفْهَمُ لُغَةَ  
آخْتُو مِنْ خِلَالِ هَمْسِهِ وَفَجِيحِهِ وَشَخِيرِهِ وَحَرَكَاتِ أَذْرَعِهِ  
الْثَّانِيَةِ، وَصَارَا صَدِيقَيْنِ حَمِيمَيْنِ .

لِذَلِكَ كَانَتْ وَرْدَةٌ تُرَحِّبُ بِكُلِّ فُرْصَةٍ لِلنُّزُولِ إِلَى الشَّاطِئِ،  
أَثْنَاءَ الْجَزْرِ، لِلِقَاءِ صَدِيقِهَا الْبَحْرِيِّ الصَّغِيرِ .



وفي هذا المساء جلست على حفاف البركة كالعادة، ومدت يدها فأمسك أختو بأصابعها، وأخذت هي تلاعبه وتناغيه.

وبينما هي كذلك غارقة في السعادة والحُبور، إذ أظلم من حولها المكان، وفزع الأخطبوط الصغير، فنفت في يدها دخانه الأسود، ومرق كالسهم في اتجاه جحره!

ورفعت وزدة رأسها، فإذا خمسة أولاد من شداد غلمان البساتين المجاورة يحيطون بالبركة، وفي أيديهم العصي المدببة والشباك وعلب الصفيح، لجمع ما يصيدونه من أحياء البحر.

وكان على رأسهم ولد أكبر منهم سنًا يطلقون عليه لقب (شعكوك)، لتراكم شعره فوق رأسه في شكل كومة مهملة! وكان شعكوك قاسيًا جدًا على الحيوانات بجميع أنواعها، خصوصًا الأسماك الصغيرة والقِطَط والسحالي والسلاحف وغيرها. كان يضطاد عددًا كبيرًا من الأسماك الصغيرة أثناء

الجزر، وحينَ ينتهي من اللَّعبِ يَرمي بها على الرملِ ، وهي  
حيّة ، ويتركها تموت . . .

وكانت وردةٌ تجمعها في عُلبةٍ صفيحٍ وتعيدها إلى البحر.  
ولكنه حينَ كان يراها لم يكنَ يسمحُ لها بذلك .

وتكلّمَ شَعكوكُ أولاً:

- وردةُ، ماذا تفعلينَ هُنا وخُذكِ؟ مع من كُنْتَ تتكلّمين؟  
وقفتُ وردةُ خائفةً على صديقها الأخطبوطِ الصّغيرِ،  
وقالت:

- لم أكنُ أتكلّمُ . هل أنا خَمَقاءُ حتى أتكلّمَ وخُدي؟  
وضحكَ أحدُ الأطفالِ، وكان قصيراً ممتلئاً، يُنادونهُ  
(بعكوك)، وقال:

- لا تُحاوِلِي الكذبَ عَلَيْنَا؛ فقد رأينا وسمِعنا كُلَّ شيءٍ .  
ودقَّ قلبُ وردةٍ بعُنفٍ خوفاً على الأخطبوطِ، فقالت:

- ماذا رأيتمُ؟ هذه بُحيرةٌ من آلاف البحيرات .

فقال شَعكوكُ وهو يتقدّمُ ليفحصَ البُحيرةَ:



- بماذا كنت تلعين يديك؟

وحملت داخل الماء، ورفع مشكاً طويلاً في شكل قضيب حديدي مدبب الرأس، وهم ياذخاله في جحر الأخطبوط. وامتقع وجهه وردة فأمسكت بالمشك وأبعدته عن الجحر صائحة في وجهه:

- هذه بحيرتي أنا. أنا أتيت إليها قبلكم.

فنظر إليها شعكوك باستغراب وتحد، وقال:

- البحر بحر الله. ولا أحد يملك منه شيئاً.

ونزع منها المشك، وانحنى ليُدخله في الجحر، ولكن وردة انبطحت على صدرها وأدخلت يدها في الماء حتى المرفق، وأغلقت بكفها باب الجحر.

وزاد فضول الجماعة وهم يرونها حريصة على إخفاء ما في الجحر، فحاولوا رفعها وإبعادها بالقوة، ولكنها صرخت، وبكت وركلت وعصت وחדشت حتى ابتعدوا عنها جميعاً مستغرين من قوتها وشراسيتها المفاجئة.

ووقف شعكوك مصراً على معرفة ما تخفيه وردة في ذلك

الجحر، وقال:

- اَسْمَعِي يَا طِفْلَةَ . لَنْ نَتَحَرَّكَ مِنْ هُنَا حَتَّى نَعْرِفَ مَا تُخَيِّنُ  
فِي ذَلِكَ الْجُحْرِ، فَارْفَعِي يَدَكَ وَإِلَّا ثَقَبْتُهَا بِهَذَا الْمِشْكِ !

فَاعَادَتْ وَرْدَةً مِنْ خِلَالِ دُمُوعِهَا :

- لَنْ أَفْعَلَ . لَنْ أَفْعَلَ . لَنْ أَدْعَكَ تَقْتُلُ هَذَا الْمَخْلُوقَ الْمُسَالِمَ  
الْمُسْكِينَ . مَاذَا فَعَلَ لَكَ ؟ أَنْتَ وَخَشْ قَاسٍ !

وَهُنَا غَرَزَ شَعَكَوْكَ رَأْسَ الْمِشْكِ الْحَدِيدِيِّ فِي كَفِّ وَرْدَةٍ،  
فَصَرَخَتْ مِنَ الْأَلَمِ، وَفَارَ الدَّمُ مِنْ كَفِّهَا وَسَطَ الْبُحِيرَةِ، وَاخْتَلَطَ  
بِمَائِهَا . . .

وَحِينَ رَأَى شَعَكَوْكَ وَبَقِيَّةَ عَصَائِتِهِ ذَلِكَ خَافُوا، وَانْطَلَقُوا  
هَارِبِينَ بَيْنَ الْبَرَكِ، وَأَخَذُوا يَنْزِلِقُونَ وَيَسْقُطُونَ، فَتَسَلَّخُ  
سِيقَانُهُمْ وَرَكَبُهُمْ .

وَأَخْرَجَتْ وَرْدَةٌ يَدَهَا مِنَ الْمَاءِ وَلَفَّتْهُ فِي مِنْدِيلِهَا، وَوَقَفَتْ  
تَمْسَحُ دُمُوعَهَا، وَتَنْتَظِرُ صَفَاءَ مَاءِ الْبُحِيرَةِ .

وَعَادَ مَاءُ الْبُحِيرَةِ إِلَى صَفَائِهِ . وَلَكِنْ (أَخْتُ) بَقِيَ خَائِفًا مُخْتَبِئًا  
فِي جُحْرِهِ الْعَمِيقِ الْمُظْلَمِ، فَنَادَتْهُ وَرْدَةٌ بِصَوْتِ حَنُونٍ :



- آخَتُوا. آخَتُوا. لَا تَخَفْ. . أَخْرِجِ الْآنَ؛ فَقَدْ ذَهَبُوا. هَلْ

تَسْمَعُنِي؟

وَأُطَلَّتْ مِنْ ظِلَامِ الْجُحْرِ عَيْنَانِ حَزِيَّتَانِ، فَأَدْخَلَتْ وَرْدَةً

يَدَهَا السَّلِيمَةَ فِي الْمَاءِ، وَقَالَتْ:

- تَعَالَ. . . اِرْكَبْ كَفِّي لِأَذْهَبَ بِكَ إِلَى الْبَحْرِ الْعَمِيقِ؛

فَقَدْ يَعُودُ شَعْكُوكُ وَعَصَابَتُهُ.

وَزَحَفَ آخَتُوا مُطِيعًا أَوْامِرَ وَرْدَةٍ، وَطَلَعَ فَوْقَ كَفِّهَا الصَّغِيرَةِ،

فَرَفَعَتْهُ فَوْقَ الْمَاءِ بِرَفْقٍ حَتَّى لَا يَخَافُ، وَعَانَقَ هَوِيْدَهَا

وَأَصَابِعَهَا بِأَيْدِيهِ الثَّانِيَةِ، وَالصَّقَ مَصَّاصَاتِهِ بِجُلْدِهَا حَتَّى لَا

يَنْزَلِقَ وَيَسْقُطُ.

وَحَمَلَتْهُ هِيَ عَبْرَ الصَّخُورِ صَوْبَ عُرْضِ الْبَحْرِ، وَهَنَّاكَ

وَضَعَتْهُ دَاخِلَ الْمَاءِ قَائِلَةً:

- لَا تَبْتَعدْ كَثِيرًا. انْتَظِرْ عَوْدَةَ أُمِّكَ. قَرِيبًا يَبْدَأُ الْمَدُّ، وَيَمْتَلِئُ

الْبَحْرُ، وَتَعُودُ أُمُّكَ.

وَرَفَعَ آخَتُوا إِحْدَى أَيْدِيهِ مُودِّعًا وَرْدَةً، وَشَاكَرًا لَهَا فَضْلَ انْقَازِ

حَيَاتِهِ مِنْ شَعْكُوكُ وَعَصَابَتِهِ.

وَلَمْ يَكُذْ (آخَتُو) يَغْطَسُ فِي الْمَاءِ حَتَّى أَحَسَّ بِذِرَاعٍ قَوِيَةٍ  
تَنْطَبِقُ عَلَى خَصْرِهِ، وَتَجْذِبُهُ إِلَى أَسْفَلٍ. وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ تَحْتَ الْمَاءِ  
غَاضِبًا، فَإِذَا بِهِ وَجْهًا لَوَجْهِ مَعَ أُمِّهِ (شُعْلَةُ).

كَانَ آخَتُو قَدْ فَتَحَ فَمَهُ لِيَصْرَخَ وَيَشْتُمَ الَّذِي أَمْسَكَ بِهِ،  
وَلَكِنَّهُ عَادَ إِلَى إِقْفَالِهِ حِينَ رَأَى أُمَّهُ. وَضَمَّتْهُ شُعْلَةُ إِلَيْهَا بِأَذْرُعِهَا  
الثَّانِيَةِ. وَأَخَذَتْ تَمْسَحُ عَلَى رَأْسِهِ وَتَقُولُ:

- الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى سَلَامَتِكَ، يَا وَلَدِي! لَقَدْ كَدْتُ أُجَنُّ مِنْ  
الْخَوْفِ عَلَيْكَ، وَأَنَا أَسْمَعُ مِنْ هُنَا مَا يَدُورُ بَيْنَ شَعَكَوِكَ  
وَعَصَابَتِهِ الْخَبِيثَةِ، وَبَيْنَ تِلْكَ الْفَتَاةِ الطَّيْبَةِ الْقَلْبِ. مَا اسْمُهَا  
يَا نَجْم؟

فَانْتَحَبَ آخَتُو مُتَأَثِّرًا بِلِقَاءِ أُمِّهِ شُعْلَةَ، وَقَالَ:

- اسْمُهَا وَرْدَةٌ. وَلَوْلَاهَا لَقَتَلَنِي شَعَكَوُكَ بِمِشْكَةِ الْحَدِيدِ.  
كَانَ يَرِيدُ أَنْ يَطْعَنَنِي بِهِ، وَلَكِنَّ وَرْدَةَ وَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى بَابِ



جُخْرِي ، فأنغرز رأسُ المشكِّ في كفِّها ، وسالَ دُمُّها في الماء .  
مسكينة !

فضمَّتْهُ شُعْلَةٌ إليها فرحةً بنجاتِهِ من الموتِ ، وقالت :  
- لا بُدَّ أن وردةً من مُحِبِّي الحيواناتِ . ولا بد أن نُجَازِيها على  
دفاعِها عنك .

- كنتُ سأقترحُ ذلك عليكِ يا أُمِّي ، ولكن كيف نُجَازِيها ؟  
فحكَّتْ الأمُ رأسَها مُحْتَارَةً ، ثمَّ قالت :  
- لا أدري . سَنَجِدُ طريقةً ما .

فانفصلَ آخَتو عن أُمِّه مُتَحَمِّسًا ، وقال :  
- أنا أعرف .

- ماذا ؟

- نُقدِّمُ لوردةَ هديةً .

- ما هي الهدية ؟

- نملأُ لها زجاجةً كبيرةً من دُودِ الحَجَرِ الرَّمْلِيِّ الذي يُعجبنا .

ونظرَ إلى وجهِ أمِّه ليرى أثرَ اقتراحِه عليها ، فبرَدَ حماسُه حين  
لم يرَ على وجهِها الحماسَ الذي توقَّعهُ .

قالت سُعلَة :

- اقتراحُكَ وجيه . ولو كانتُ وردةٌ أُخطبُوطاً مثلنا لوافقْتُكَ

عليه في الحال . ولكنها آدميةٌ . هل فهمتَ ؟

فحرَّكَ أختو رأسَه فاهِماً . وأضافت سُعلَة :

- ليسَ كُلُّ ما يعجِبُنَا نحنُ نُعجِبُ الآخرين .

فسألَ أختو :

- وكيفَ نعرفُ ما يعجِبُها إذن ؟

- نسألُ أهلَ العِلْمِ والتجربة .

وأمسكتُ بيدَ ابنتها ، وذهبتُ تبحثُ عن حُكماءِ الأشمَّاءِ في

الأعماق .

أما وردةٌ فقد عادت إلى منزلها تجري وتقفز من الفرح والسعادة بنجاة الأخطبوط الصغير (آختو) من موتٍ مُحَقَّق .  
كانت تريد الوصول إلى الدارِ بصبرٍ فارغٍ ؛ لتحكي لأبيها وأُمّها عن مغامرتها الجديدة .

ودخلت الكوخَ تجري وتلهث ، فقابلتها أُمّها بوجهٍ عابسٍ مُرهقٍ ، وصاحت فيها :

- أين تأخرتِ حتى هذه الساعة ؟

ولم تكذُ وردة تجيبُ حتى رأت علائمَ الغضبِ المتزايدِ على وجهِ أُمّها وهي تنظرُ إلى ملابسها . ونظرت وردة إلى حيثُ كانت تنظرُ أُمّها فإذا كسوتها الوحيدة مغطاةٌ بطينِ البحرِ ومائه المالح .

قالت أُمّها :

- انظري ، أيتها الشقيّة ، إلى ما فعلتِ بفستانكِ الوحيد؟ كأنَّ

تُصبينَ ملابسِ الناسِ لا يكفي ، حتى تُوسّخي أنتِ ملابسكِ !



وَأَمْسَكَتُهَا مِنْ يَدِهَا ، وَأَخَذْتُ تَضْرِبُهَا عَلَى وَرِكِهَا ، وَوَرْدَةٌ  
تَبْكِي وَتَسْتَغْفِرُهَا بِحَرَارَةٍ :

- لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ عَمْدًا ، يَا أُمِّي ! فَقَدْ زَلَّتْ قَدَمَايَ وَسَقَطَتْ .  
- وَلَكِنْ لِمَاذَا تَذْهَبِينَ إِلَى الْبَحْرِ ؟ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ مِرَارًا أَلَّا تَذْهَبِي ؟  
وَبَعْدَ أَنْ أَشْبَعَتْهَا ضَرْبًا أَوْقَفْتُهَا أَمَامَهَا ، وَأَخَذْتُ تَخْلَعُ عَنْهَا  
الْفُسْتَانَ . وَمِنْ دَاخِلِ الْكُوخِ جَاءَ صَوْتُ أَبِيهَا يَنَادِي ضَعِيفًا :  
- حَفْصَةُ ! حَفْصَةُ !

فَقَالَتْ حَفْصَةُ لَابْتِثًا دَافِعَةً إِيَّاهَا نَحْوَ بَابِ الْكُوخِ :  
- خُذِي فُوطَةً وَالتَّفِّيْ بِهَا . وَانْظُرِي مَاذَا يَرِيدُ أَبُوكَ ؟  
وَدَخَلَتْ وَرْدَةٌ شَبَّهَ عَارِيَةَ كُوخِ أَبِيهَا ، وَالتَفَّتْ بِفُوطَةٍ ،  
وَذَهَبَتْ إِلَيْهِ ، فَسَأَلَهَا مِنْزَعَجًا :

- لِمَاذَا تَضْرِبُكِ أُمُّكِ ؟  
فَأَجَابَتْ وَهِيَ تَتَحَبَّبُ :  
- لِأَنِّي سَقَطْتُ فِي بَرْكَةٍ ، وَوَسَّخْتُ مَلَابِسِي .

فمدَّ يديه نحوها وقال :

- تعالي ، تعالي ، يا عزيزتي . . .

واقتربت منه ، وانحنْتُ عليه لتقبُّله ، فضمَّتها إلى صدره

بحنانٍ كبير:

- مسكينة أمك! لا تلوميها؛ فهي لا تعرفُ الراحة . . .

وليس لها من يساعدها . حين أشفَى أنا - إن شاء الله - من

مَرَضِي سأشتري لكِ عشراتِ الفساتين ، وسأكثري خادماً

لمساعدة أمك على أعمال البيت .

وأشارَ إلى الحَشِيَّةِ إلى جانبه ، وقال :

- اجلسي إلى جانبي ، واخكي لي ما رأيتِ في البحر .

فجلستُ إلى جانبه ، وأخذت تحكي له عن مُغامراتها مع

(آختو) وقد برقتَ عيناها من السرور ، ونسيَتْ ضربَ أمِّها لها .

أَمَّا آخَتُو وَأُمُّهُ شُعْلَةٌ ، فَقَدْ ذَهَبَا يَبْحَثَانِ عَنْ أَحَدٍ يَعْرِفُ مَا  
يُعْجِبُ الْإِنْسَانَ .

وَفِي الطَّرِيقِ التَّقِيَا الْعَقْرَبَ ، وَهِيَ سَمَكَةٌ رَمْلِيَّةُ اللَّوْنِ ، كَبِيرَةٌ  
الرَّأْسِ ، فَتَوَقَّفَا لِنِسْأَلِهَا ، قَالَتْ شُعْلَةٌ لِابْنِهَا آخَتُو :

- تَعَالَ نَسْأَلِ الْعَقْرَبَ ؛ فَلَا بَدَّ أَنَّهَا تَعْرِفُ الْجَوَابَ .

- لِمَاذَا ؟

- لِأَنَّ رَأْسَهَا كَبِيرٌ ، وَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ مُخُّهَا كَذَلِكَ .

وَتَقَدَّمَتْ شُعْلَةٌ مِنْهَا :

- مَسَاءُ الْخَيْرِ ، عَمَّتِي الْعَقْرَبُ .

فَفَتَحَتْ الْعَقْرَبُ عَيْنَيْهَا النَّاعَسَتَيْنِ ، وَسَأَلَتْ :

- مَاذَا تُرِيدِينَ ؟

- أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَمَّا يُعْجِبُ الْإِنْسَانَ .



- لماذا؟

- لأنَّ إنسانةً أنقذت ولدي آختو، وأريدُ أن أقدم لها هديةً  
تُعجبها.

ففتحت العقربُ فمًا كبيرًا في حجمِ رأسِها، ونظرت إلى آختو  
الصغيرِ بشهيةٍ الجائعِ، وقالت:

- وماذا ستُعطيني إذا قلتُ لك؟

فقالت الأم:

- سأقدم لك تشكراتي الخالصة.

- يفتحُ الله! أنا لا آكلُ التَّشكراتِ!

- وماذا تريدُين؟ اطلبي ما شئت...

- حقًا؟

وفتحت العقربُ فمها الكبير، وابتلعت آختو دفعةً واحدة.

ولكنَّ أمَّه شعله لم تمهلها، فازتمت عليها، وطوقت بأذرعها

الثمانية القوية عنقها.

ووجد آختو نفسه داخل ظُلْمَة بطنِ العقربِ ، فنفت دُخانَه  
الكثيفَ ، وأخذَ يُدْخِلُ أذْرَعَهُ الثَّانِيَةَ فِي كُلِّ ثُقْبٍ يُصَادِفُهُ . . .  
وشعرتِ العقربُ بأنْجَبَاسِ أنْفَاسِهَا ، وأنْسَدَادِ خِيَاشِمِهَا ،  
وأُصِيبَتْ بِالْغَثَيَانِ مِنَ الدُّخَانِ الَّذِي مَلَأَ بطنَهَا فَتَقَيَّاتِ آختو .  
وابتعدَ هو عن الفمِ الكبيرِ ، وانْضَمَّتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ شُعْلَةٌ غَاضِبَةٌ  
من تصرُّفِ العقربِ الهمَجِيِّ ، وهي تقول :  
- يَا لَهَا مِنْ عَقْرِبٍ بَلِيدَةٍ ! أَنَا مَا أَزَالُ أَقُولُ لَهَا إِنِّي أُرِيدُ أَنْ  
أُكَافِيَ الْإِنْسَانَةَ عَلَى إِنْقَاذِ ابْنِي ، وَإِذَا بِهَا تَبَتَّلَعُهُ !  
فَرَدَّ آختو :

- لَيْسَ كُلُّ ذِي رَأْسٍ كَبِيرٍ ذَكِيًّا !  
- صَدَقْتَ يَا وَلَدِي . الْمَظَاهِرُ تَخْدَعُ !  
وَسَبَّحَا فِي طَرِيقِهَا ، فَإِذَا بِسِرْبٍ مِنَ الْبُورِي يَمُرُّ مِنْ  
فَوْقِهَا . فَتَوَقَّفَتْ زَعِيمَةُ السَّرْبِ لِتُحْيِيَ شُعْلَةَ الَّتِي كَانَتْ  
تَعْرِفُهَا :

- مَسَاءُ الْخَيْرِ يَا شُعْلَةٌ . إِلَى أَيْنَ أَنْتِ ذَاهِبَةٌ بِابْنِكَ ؟  
- إِنَّا نَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ يُعْجِبُ الْإِنْسَانَ لِنُقَدِّمَهُ إِلَيْهِ هَدِيَّةً .

فضحكت البورية وصاحت غير مصدقة :

- هل سمعتن ؟ هذا آخر الزمان ! عمّتي شعله تريد إهداء

شيء الإنسان !

فسألت إحدى البوريات :

- ولكن لماذا؟ إذا كانت تريد مكافأتهم على ما يفعلون بنا

نحن جنس السمك فعندي اقتراح .

واجتمعت عليها البوريات الأخريات سائلات بفضول :

- ما هو اقتراحك؟

- قريباً من هنا توجد قبلة أعماق من عهد الحرب ، ما تزال

صالحة . نلفها لها لتقدمها لصديقتها الأدمي .

فتضاحكت البوريات ، وعقبت كُبراهن :

- الحقيقة أن أمرك عجيب ، يا أمّ آختوا الإنسان لا يستحق

أيّ إكرام ! انظري إلى ما يفعل بنا نحن البوري مثلاً ، رغم أننا

أذكى الأسماك ، وأعرف بحيله . إننا نعرف أنه يُذلي لنا طعاماً

لذيذا وبداخله صنارة ، فإذا ابتلعناه دخلت الصنارة خياشيمنا



أو شِفَاهَنَا، أو بَطُونَنَا، وَأَمْسَكَ هُو بِنَا . لَذَلِكَ لَا نَأْكُلُ الطُّعْمَ  
دَفْعَةً وَاحِدَةً، بَلْ نَنْتِفِهِ نَتْفًا حَتَّى نَأْتِيَ عَلَيْهِ . وَلَكِنَّهُ فَطِنَ  
لِذَلِكَ، فَأَخَذَ يَضَعُ تَحْتَ الطُّعْمِ مَا يَسْمَى (بِالْخَطَّافَةِ) .

فسأل آختو:

- الخطافة ؟

- نعم، وهي مَكُونَةٌ مِنْ أَرْبَعِ صَنَائِرٍ كَبِيرَةٍ . وَكَلَّمَا اقْتَرَبَ  
بَعْضُنَا مِنَ الطُّعْمِ وَجَذَبَ الْخَطَّافَةُ خُطْفَةً مِنْ بَطْنِهِ .

فَشَهَقَتِ الْبُورِيَّاتُ الْأَخْرِيَّاتُ وَكَذَلِكَ شَعْلَةٌ مِنَ الْفَرْعِ . . .  
وَلَكِنْ آخَتُو تَدْخُلُ :

- وَلَكِنَّا لَا نَرِيدُ الْهَدِيَّةَ لِذَلِكَ النَّوعِ مِنَ الْبَشَرِ، بَلْ نَرِيدُهَا  
لِإِنْسَانَةٍ تُحِبُّ الْحَيَوَانَ، وَتَعْطِفُ عَلَى الْأَسْمَاكِ الصَّغِيرَةِ . وَقَدْ  
أَنْقَذْتُ حَيَاتِي حِينَ حَاوَلَ شَعْكُوكُ وَعَصَابَتُهُ غَرَزَ الْمَشْكُ فِي  
بَطْنِي .

وَاسْتَمَعْتُ إِلَيْهِ الْبُورِيَّاتُ بِفَضُولٍ، وَتَدْخَلْتُ شُعْلَةً :

- مَا قَالَه آخَتُو صَحِيحٌ .

فشهقت زعيمة البوري، وقالت :

- «عِشْ رَجَبًا تَسْمَعُ عَجَبًا!». أنا لا أَصَدِّقُ من هذا كَلِمَةً .

وأشارت برأسها إلى زميلاتِها فتَبِعْنَهَا، وبقيَ أَخُو وأُمُّه وحَدَّهُمَا، فَأَمْسَكَ بِأَحَدَى أَيْدِيهَا، وَأَخَذَ يَجْرُهَا، فَقَالَتْ :

- لا يَنْبَغِي أَنْ نَتَحَرَّكَ مِنْ هُنَا حَتَّى نَعْرِفَ أَيْنَ سَنَذْهَبُ .  
وما كان ينبغي أَنْ نَبْدَأَ الطَّرِيقَ حَتَّى نَحْدَدَ الْهَدَفَ، عَمَلًا بِالْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ .

فَجَرَّهَا مِنْ يَدِهَا قَائِلًا :

- وَأَنَا أَقُولُ : «تَحَرَّكُوا تُرْزَقُوا»، فَنَحْنُ نَعْرِفُ مَا نُرِيدُ،  
وَنَبْجُثُ عَنْهُ .

- وَلَكِنْ فِي أَيِّ اتِّجَاهٍ ؟

وَبَيْنَمَا هُمَا يَتَنَاقِشَانِ إِذْ سَمِعَا صَوْتًا غَرِيبًا، شَبِيهًا بِاقْتِرَابِ  
زُورْقٍ صَيِّدٍ، فَاخْتَضَنْتْ شَعْلَةً صَغِيرَهَا، وَالتَصَقَّتْ  
بِالْأَرْضِ . وَرَفَعَتْ عَيْنَيْهَا فَإِذَا حُوتٌ سَيْفٍ كَبِيرٌ يَسْبَحُ فَوْقَهُمَا .  
وَكَانَتْ شَعْلَةٌ تَعْرِفُهُ .

فقلت لابنها :

- لا تَخَفْ يا أَخْتُو. إِنَّهُ الْقَائِدُ أَبُو سَيْفٍ.

ونظر أَخْتُو إلى جسمِ الحوتِ الممتدِّ كبطنِ زُورَقٍ فوقَهُمَا،  
وفتحَ فمهُ إعجابًا بقُوَّتِهِ، وقالَ لأمه :

- تعالي نَسْأَلْهُ. لا بدَّ أنه يعرفُ ما يُعجبُ الإنسانَ.

- القائدُ أبو سيفٍ محاربٌ شجاعٌ، ولكنه لم يُدرَّبْ إلَّا على  
تلقيِّ الأوامرِ وتنفيذِها. ولا أعتقدُ أنه يعرفُ في هذه المسائلِ  
الثقافية. فلا ينبغي أن نُخرِجَهُ بسؤالنا.

ولكنَّ أَخْتُو أَلَحَّ في سؤَالِهِ لمجرَّدِ النَّظَرِ إليه من قريبٍ،  
فنادَتْهُ شعله :

- حضرةَ القائدِ أبا سيفٍ. يا أبا سيفٍ!

فتوقَّفَ الحوتُ الكبيرُ، والتفَّتْ حوَالِيهِ :

- من يُنادي ؟

ومن تَحْتَ جاءَهُ صوتُ شُعْلةٍ رقيقًا :

- أنا، يا عمِّي أبا سيفٍ. أنا هنا تحتَكَ.



فنظر إلى تحت ، ونزل ليتساوى مع شُعلة وأختو:

- أهلاً! أهلاً شُعلة ! من هذا الذي معك ؟

- إنه ابني أختو.

- أهلاً وسهلاً! ماذا تفعلين هنا في هذه المياه العميقة ؟

بلادكم على الشاطئ.

- جئتُ لأبحث عن شيءٍ يُعجبُ الإنسان .

فضحك المحاربُ الكبيرُ ضحكةً خشنَةً ، وقال مُستغرباً :

- يا له من عَمَلٍ غريب! ولماذا تريدينه ؟

- لإهدائه لِطِفْلةٍ بشرية أنقذت ابني هذا من الموت .

فضحك الحوثُ القويُّ . وقال :

- هذه أغربُ من أختها ! لأول مرةٍ أسمعُ بإنسانٍ ينقذُ

أخطبوطاً . نحنُ بالنسبة إليهم حيواناتٌ مباحة للصَّيدِ

والأكلِ ، وليس لنا روحٌ ولا عقلٌ ولا عواطف . فهم ما يفتأونَ

يُنصِبُون لنا الشُّباك ، ويطعنوننا بالحِرَابِ والسَّهام ، ويغرزونَ

فينا الشُّصوصَ والصنانير! ولكن لا يمكنُ أن نلومهم .

فقاطعه أختو منفعلًا:

- لا نلومهم؟ بعد كل ما قلت عنهم؟

فردّ أبو سيفٍ بحِلْمِ الأبِ الرّؤوم:

- حقًا، يا ولدي، هناك بعضُ التناقضِ فيما قلتُ، ولكنَّ

الحيتانَ والأسماكُ تتصرّفُ مع الإنسانِ بالطريقة نفسها. بلُ

حتى معَ نفسِها. نحنُ معروفون بأننا حيوانات مفترسةٌ، وبأن

قويّنا يأكلُ ضعيفنا! وهذه سُنّة الحياة...

وتنحنحَ ثم قال:

- وبالمناسبة، وحتى لا نخرج عن الموضوع، أنا أعرفُ ما

يُعجبُ الإنسان.

فسألتُ شعله بتطلّع:

- ماذا يا عمّي أبا سيف؟ لقد أعيانا البحث!

فقال:

- أشهى أكلةٍ عندهم هي لحمنا نحنُ حيتانُ السّيف

والتُّون.

وضحك مازحًا، وأضاف:

- ولكنني لا أنوي تقديم نفسي هدية لأيّ كان، حتى ولو  
أنقذ حياتي! ولكنني أقترح مكافأة هذه الطفلة الأدمية بطريقة  
أخرى:

فسألت شعله خائبة الأمل من مزاحه:

- وما هي؟

فرفع سيفه ولوح به لهما، وقال:

- إذا كان لها عدوّ، فما عليها إلا أن تدلّني عليه لأطعنه  
بسيفي هذا!

وارتفع عن الأرض بخفة تعجّب لها آختو، رغم ضخامة  
بدنه، وانطلق كصاروخ نحو كتيب رمل، فطعنه بسيفه حتى  
شقّه شطرين! وعاد ليقف أمام شعله وآختو:

- هكذا! ما رأيكما؟

فصفّق له آختو بأيديه الثانية، ووقف يقفز في مكانه  
ويصيح:

- عظيم ! عظيم !

ويُشيرُ حوالِيهِ الرِّمالَ ، وأمه تضحكُ من حماسه ، وتصفقُ ،  
هي الأخرى ، بيدين فقط ، وأعادَ الحوتُ عرضه ، فقالت  
شُعلة :

- لا أعتقدُ أن لصديقتنا الأدمية أعداءَ بهذا الحجم ! على  
الأقل في البحر . ولكن شكرا على اقتراحك على أي حال .  
وهنا ودّع القائدُ أبو سيفٍ ضاحكًا مازحًا ، وانصَرَفَ .



وفجأةً أحسَّ آخِثو بالجوع والتعب والنوم، فأخذ  
يبكي . . . وسأله أمه :

- ما لك ؟

فأخذ يجرها من إحدى أيديها، ويتحجبُ :  
- تعالني نَعُدْ إلى دَارِنَا ! أريدُ أن أتعشَّى وأنام .

فضحكت أمه وقالت :

- ألا تريدُ أن تبحثَ لصديقتك وردةَ عن هدية ؟

- نبحثُ عنها غدا .

فربت على رأسه بإحدى أيديها، وقالت :

- لا نستطيع الرجوعَ إلى دارِنَا الآن . فقد ابتعدنا عنها كثيرا .

ولكن خالتي تسكنُ قريبا من هنا، فلنذهبْ لزيارتها وقضاءِ  
الليلِ عندها .

وناما تلك الليلة عند الخالة .

وفي الصباح استيقظَ آخَتو معَ أوَّلِ أشعَّةِ الشمسِ التي  
 اختَرَقَتْ سطْحَ الماءِ، وخرَجَ إلى الحارةِ يلعبُ معَ صغارِ  
 الإزبيّانِ والسَّرطاناتِ، ويُداعِبُ القواقعَ والمحارَ وفراخَ  
 الحَجيلةِ وأبي نَتَّافٍ ويأْكُلُ من فواكِه المنطقة الشهيةِ .

واجتمعَ عليه صغارُ الأسماكِ يسألونه من أين جاء ؟ ولماذا ؟  
 فقال لهم :

- جئتُ من بلادِ الشواطئِ . وبالضبطِ من مكانٍ يُسمَّى  
 «الضايّة» على شاطئِ مدينةٍ بشريةٍ، على اليابسةِ تُسمَّى  
 «أصيلة» . جئنا أنا وأمي لنبحثَ عن شيءٍ يُعجبُ الإنسانَ،  
 لنقدمه هديةً لفتاةٍ آدميةٍ أنقذت حياتي .  
 فاندَهشوا جميعاً لسماعِ قصّةِ آخَتو . . .

واغتتم هو الفرصةُ، فسألهم :

- هل تعرفونَ ما يُعجبُ الإنسانَ؟

فنظر بعضهم إلى بعض ، وحركوا زعانف أكتافهم غير عارفين .

وحينئذ خرجت من بينهم سمكة نحيفة شقافة الجسم كبيرة العينين ، وقالت :

- أنا أعرف .

فانفجرت الجماعة ضاحكة ، وأخذوا يضربون بذيلهم الرمل أمام وجهها ، ويتغامزون عليها قائلين :

- ها ها ها ! أنصتوا إلى صاحب ! إنه يعرف ما لا نعرفه !

وتدخل آختو لإنقاذ صاحب النحيل قائلا :

- دعوهُ يتكلم .

ونفض صاحب عينيه من ذرات الرمل ، وبلغ ريقه بصعوبة ، وقال :

- أنا لا أعرف .

وانفجرت الجماعة ضاحكة مرة أخرى ، وهي تقول لآختو :

- ألم نقلها لك ؟

فقاطَعَهُمْ آخَتُو قَائِلًا :

- دَعُوهُ يَتِمَّ كَلَامُهُ .

وَحِينَ سَكَتُوا نَظَرَ إِلَيْهِمْ شَا حِبُّ بَعِينِينَ حَزِيَّتَيْنِ ، وَقَالَ :

- وَلَكِنِّي أَعْرَفُ مَنْ يَعْرِفُ .

وَرَفَعَ آخَتُو يَدَيْنِ مِنْ أَيْدِيهِ لِيُسْكِتَ الْجَمَاعَةَ ، وَقَالَ :

- مَنْ يَعْرِفُ ، يَا شَا حِبُّ ؟

- (مُذْهَبَةٌ) .

وَشَهِقَتْ بَعْضُ أَشْهَآكِ الْجَمَاعَةِ ، وَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ :

- كَيْفَ لَمْ نُفَكِّرْ فِي ذَلِكَ ؟

وَسَأَلَ آخَتُو :

- مَنْ مُذْهَبَةٌ هَذِهِ ؟

فَقَالَ شَا حِبُّ :

- إِنَّهَا سَمَكَةٌ مَلُونَةٌ عَاشَتْ مَدَّةً طَوِيلَةً فِي زَجَاجَةٍ مَعَ عَائِلَةٍ

بَشَرِيَّةٍ . وَحِينَ كَبُرَتْ حَرَّرُوهَا .



- أَيْنَ يُمَكِّنُ أَنْ نَجدها ؟

فتطوَّعَ شاحِب :

- أنا آخذُكَ إليها .

وخرجَ من بينِ الجماعةِ ، فتبعَه آختو ، وسارا حتى وصلا إلى  
جُحْرِ السمكةِ المذهبةِ ، ووقفَ شاحِب فناداها ، فخرجتُ من  
جحرها المظلم ، ووقفتُ أمامَهما . وما كادتُ أشعُّ الشمسِ  
تَقَعُ عليها حتى أضاءت حَوْها بجميعِ ألوانِ قوسِ قُزَح . . .  
ووقفَ آختو ينظرُ إليها مبهُوراً فاغرَ الفم . فابتسمتُ له  
سعيدةً بإعجابه بجمالِها ، وسألته بلطف :

- أهلا وسهلا بكُما ! منَ صديقُكَ الجديدُ ، يا شاحِب ؟

- اسمُه آختو . جاءَ هو وأُمُّه من بلادِ الشواطئِ بحثاً عن  
شيءٍ يُعجِبُ الإنسانَ . وقد جئتُ به إليك لَعَلَّكَ تُجيبينَ عن  
سؤالِهِ .

وسألتُ مذهبهُ :

- ولكنْ لماذا تريدُ معرفةَ ما يُعجِبُ الإنسانَ ؟

- فردّ آختو، وقد زالت دهشتُهُ :

- نريد تقديم هدية لصديقة آدمية أنقذت حياتي .

- هذا عملٌ جميلٌ يا آختو! الاعترافُ بالجميل فضيلة .

- فهل تعرفين ما يُعجبُ الإنسان ؟

فحرّكتُ مذهبةُ رأسها، وأجابت :

- ليس هناك شيءٌ واحدٌ يعجب الجنسَ البشري بأسره؛

فهو حيوانٌ معقّدٌ، وليس مثلنا، نحنُ الأسماكُ . ومما استطعتُ

معرِفته، من طولِ تجربتي وإقامتي في غرفةِ جلوسِ عائلةٍ

بشريّة، أنّ أذواقَ الأدميين تختلفُ، فمنهم من يُحبُّ المالَ

والذهبَ والأحجارَ الكريمةَ . وهؤلاء هم الأغلبيةُ، ومن بينهم

الإناثُ . ومنهم من يحبُّ العلمَ والأدبَ والفنَّ والحكمةَ،

ومنهم من يفضّلُ السُّلطةَ والشُّهرةَ والجاهَ، ومنهم من يعشقُ

الرياضةَ والسّياحةَ ومجالسةَ الناسِ، ومنهم . . .

فحرّك آختو رأسه دائخاً وقال :

- لم أفهم شيئاً من هذا !

فقال له شاحب :

- أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّهَا تَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ بَنِي الْإِنْسَانِ؟

فقال آختو:

- أنا أريدُ جوابًا بسيطًا لسؤالٍ بسيط .

فأجابتُ مذهبةٌ :

- سؤالك غيرُ بسيط . على كُلِّ حال ، أنا آسفةٌ على إرباكِكَ

بهذا الشَّكْلِ ! فدَعْنِي أَفَكِّرُ في هديةٍ مُناسبةٍ لصديقَتِكَ .

وفكرت قليلاً ، وهي تدورُ حولَ نَفْسِها ، ثم سألتُ آختو:

- كم سِنٌ لصديقَتِكَ هذه؟

- لا أَذْري ، ولكنَّها طفلةٌ في طولِ تلكَ الشَّجرة .

وأشارَ إلى شجرةٍ قصيرةٍ قريبة .

وعادتُ مذهبةٌ تدورُ حولَ نَفْسِها ، ثمَّ واجهتُ آختو وقالت :

- وجَدْتُها ! خُذْ لها حِلِيَّةً تَلْبِسُها .

فسألَ آختو غيرَ فاهم :

- وما هي الحليّة ؟ وأين أجدها ؟

فعصّت مُذهبةً على شفتيها العليا وقالت :

- سَمِعْتُ من بعض الشيوخ أَنَّ هناك سفينةً قديمةً تتحدّثُ عنها الأساطيرُ، غرقت في عُرض الأقيانوس ، وكانت تحملُ كنُوزاً من أمريكا اللاتينية إلى أسبانيا . وما تزالُ هناك بجميع ما كانت تحمله من كنُوزٍ .

فسألها آختو :

- ولكن من سيُدلُّنا على هذه السفينة ؟

ففكرت مُذهبةً قليلا ، وقالت :

- هناك مَرِيْنَةٌ عجوزٌ جدا ، تعيشُ على بُعْدِ ثلاثةِ أيامٍ بلياليها ، من هنا في اتّجاه الجنوبِ ، تعرفُ موقعَ السفينةِ الغريقة . فإذا كانت ما تزالُ على قيدِ الحياة ، وعشرتُم عليها ، فيمكنُ أنْ تدلَّكم على مكان السفينة .

وهمَّ آختو بالخروج ، فاستوقفه صاحب ليشال مُذهبة :

- ولكن ما اسمُ هذه المَرِيْنَةِ العجوز ؟



- اسمُهَا (سَدَاح) . .

- هذا اسمٌ شائعٌ بين المَرايِنِ ، فما أوصافُهَا ؟

- إنها عَجُوزٌ مُسِنَّةٌ جداً . وقد فقدت أسنانها وبصرها ، ولها  
شَعْرٌ طَوِيلٌ يُضْرَبُ به المِثْلُ .

وهمَّ آخَتُو بالانصرافِ ، فاستوقفهُ شَاحِبٌ ، مرَّةً أُخرى ،  
مُصِرّاً على التَّدقيقِ وسأل :

- وفي أيةِ مَدِينَةٍ من مُدُنِ البَحْرِ تَسْكُنُ ؟

- إذا لم تُخْنِي الذاكرةُ فإنها تَسْكُنُ في مَدِينَةِ (الأغوار) ،  
والجميعُ يَعْرِفُهَا هُنَاكَ .

ولم تُخَفِ مُذْهَبَةً إعجابَها بِذِكَاءِ شَاحِبٍ ، فَرَبَّتْ بِجَنَاحِهَا  
على رَأْسِهِ وقالت :

- أَنْتِ وَلَدٌ مَدَقَّقٌ ، وسوفَ تَنْجَحُ في حَيَاتِكَ .

وَشَكَرَ آخَتُو السَّمَكَةَ مُذْهَبَةً بِحَرَارَةِ قَائِلَا :

- لا أَذْري كَيْفَ أَشْكُرُكَ على هذه المَعلُومَاتِ الثَمِينَةِ . . .

فأجابت مبتهجةً بأدبه :

- سُكْرِي هُوَ حِرْصُكَ عَلَى الْاعْتِرَافِ بِالْجَمِيلِ .

وانطلقَ آخَتُو، وخلفه شاحبٌ إلى حيث كانت أمه تنتظره في  
جُحْرِ خَالَتِهَا .

وحينَ أخبرها بما فعلَ فرحت كثيرا، وعانقته، وقبلته .  
وحاولَ هو الفكَّاكَ منها خوفاً من أن يظنَّه صديقُه الجديدُ  
شاحبٌ طفلاً صغيراً تفرَّحُ به النساءُ !  
وربَّتْ خالَةُ أمِّه على رأسِهِ مُهَنَّةً :

- عافاك ! عافاك ! يا آخَتُو . إنك ولدٌ ذكيّ .

فأشار آخَتُو إلى شاحب الذي لا يكاد يرى لشفافيةِ جسْمِهِ ،  
وقال :

- الفضلُ في ذلك يرجع إلى صديقي شاحبٍ هذا .

وحينئذٍ فقط رآته الأخطبوطتان ، فمدَّتا يدين من أيديهما  
السَّتَ عشرةً لمُصافحتهِ وتهنئته .

وفي تلك اللحظة ودَّعتُ شعلَةً خالَتْها ، وأمسكتُ بإحدى  
أيدي ابنها آخَتو ، وانطلقتُ نحوَ الجنوب .  
ولم تُكنْ تتوقَّعُ إلاَّ عند مُفْتَرَقِ طُرُقٍ مُتَشَعِّبٍ لتسألَ عن  
الطريقِ الصحيحِ إلى مدينةِ الأغوار .

وفي مساء اليوم الثالث ، وصلاً مشَارِفَ المدينة ، وكانت تقعُ  
على حِفَافِ المِياهِ الزَّرْقَاءِ ، أو ما يُسمِّيه أسماكُ الشواطئ بالغُورِ  
السَّحِيقِ .

ولم يجدَا صُعُوبَةً في العُثُورِ على جُحْرِ سَدَاح ، فقد سأل  
آخَتُو أَوَّلَ فَرَّخٍ لِقِيَاهُ من فِرَاحِ المَرَايِنِ ، فقال لهما :

- تَعَالِيَا مَعِي ؛ أَنَا كَذَلِكَ ذَاهِبٌ إِلَى دَارِ عَمَّتِي سَدَاح ؛ فَهِيَ  
تَحْكِي لَنَا قِصَّةَ كُلِّ أَرْبَعَاءِ .

فَفَتَحَ آخَتُو عَيْنَيْهِ النَّاعِسَتَيْنِ لِلْمَفَاجِئَةِ السَّارَّةِ ، وَصَاحَ قَافِزًا  
فِي مَكَانِهِ مِنَ الْفَرَحِ :

- قِصَّةٌ ! حَقِيقَةٌ ؟ هَلْ يُمَكِّنُ لِي أَنْ أَسْمَعَهَا أَنَا مَعَكُمْ ؟

فَحَرَّكَ الْفَرَّخُ رَأْسَهُ غَيْرَ عَارِفٍ وَقَالَ :

- لَا أَدْرِي ؛ فَهِيَ لَا تَقْبَلُ مِنَ الصِّغَارِ إِلَّا أَصْحَابَ النَّتَائِجِ  
وَالدَّرَجَاتِ الْجَيِّدَةِ فِي اخْتِبَارَاتِ الْأُسْبُوعِ وَتَمَارِينِهِ . فَكَيْفَ هِيَ  
نَتَائِجُكَ ؟



وهنا نظرت إليه أمه نظرة عتابٍ على كسله وتهاونه في دراسته . ولكنها عادت فأنقذت الموقف قائلة للفرخ :

- نحن لسنا من هذه المدينة . آختر لم يأت بتائج دراسته

معه .

فقال الفرخ :

- على هذا الأساس قد تقبلكما بشكل استثنائي . أمّا معنا نحن فهي عنيدة وشديدة ، ولا ينفع معها استعطاف ولا بكاء .

وبعد مُدّة من السّير بين الدّروب والأزقة والأسواق العامرة بالأسماك ، توقّف الفرخ أمام قنّفذ بحري طويل الشوك ، وهمس في أذنه فتحرك ، فإذا به كان يقف على باب جُحر عميق .

وسمع آختر وأمّه الفرخ يقول للقنّفذ :

- هذه الأخطبوطة وابنها جاءا من بلدٍ بعيدٍ لزيارة سدّاح .

فقال القنّفذ مرحّبًا بهما :

- تفضّلا . . . ولكن لا تتكلّما معها حتى تنتهي من الحكاية .

فقد بدأت تحكي ، وهي لا تُحبُّ من يُقاطِعُها . فادخلوا بهدوء .

ودخل الثلاثة صامتين ، وبحثوا بين الأسماك الصغيرة  
المتزاحمة عن مكانٍ جلسوا فيه يُنصِتُون .

كان الجُحْرُ واسعاً من الداخل ، عالي السقف ، مُضاءً  
بِسِرْبٍ من سَمَكِ الشُّطُونِ (\*) الفُوسْفُورِي السابح قُرْبَ  
السقف ، والمرينة (سَدَاح) مُلتوية على سارية من الرُّخام ، وقد  
انتشر سالفها الشهير حولها ، وهي تحكي ، والأسماك الصغيرة  
تنظرُ إليها مفتونةً فاتحةً أفواهها بادية الخياشيم .

---

(\*) سمك شبيه بالسردين لكنه أصغر . (الانشوا) بالفرنسية .

كانت تقول :

« . . . وكنتُ في ذلك العهدِ صغيرةً وطائشةً حمقاء، وكانت أُمِّي، رحمها الله، تُحذِّرُنِي من الاقترابِ من المراكبِ، وتقول لي: «إنها تحملُ أخطرَ حيوانٍ في البرِّ والبحرِ. . . الإنسان !

ورغمَ تحذيرها كان فُضولي ورغبتِي في معرفةِ هذا الحيوانِ المخيفِ لا يُقاومان، وجاءتُ فُرصَتِي في ليلةٍ مُقَمَّرَةٍ، وكنتُ ألعبُ مع زميلاتي خارجَ جُحرِنَا، فإذا بالدنيا تُظلمُ فجأةً من حولنا، وهربتُ زميلاتي، وبقيتُ لعلِّي أكتشفُ سببَ الإِظلامِ المفاجئِ . ورفعتُ عَيْنِي فإذا بطنُ سفينةٍ ترسو فوقنا فيخجُبُ ظلُّها ضوءَ القمرِ عَنَّا . كانت شبيهةً ببطنِ عنبرٍ ضخَم . وبعد لحظةٍ من وقوفها سمعتُ هديرًا يُصمُّ الآذانَ، وإذا بمِخْطافِ حديدِي ضخَمٍ ينزلُ نحوي مربوطًا بسلسلةٍ غليظةٍ، وكادَ يسحقُنِي لو لم أسارِعْ بالابتعاد!

واختبأتُ في مدخل جُحْرِنَا وقلبي يَدُقُّ منَ الفَزَعِ ، وأنا  
انتظرُ أن ينزلَ إلينا بَنُو الإنسانِ لافْتِرَاسِنَا . وبدلاً من ذلك ،  
وقعَ شيءٌ لم أكنُ أتوقَّعهُ . نزلَ من السفينةِ ما يُشْبِهُ المَطَرَ من  
قِطَعِ الطعامِ الشهيَّةِ جدًّا ، والتي لم تكن نعرفُها في مِنطَقَتِنَا .  
وخرجتِ الأسماكُ لتَذَوِّقَها والاستمتاعِ بها . وشجَّعني ذلك ،  
فصعدتُ ، أنا الأخرى ، إلى قُرْبِ السطحِ لِأَلْتَقِطَ القِطَعِ  
الكبيرة اللذيذة .

وفعلًا لمحتُ قطعةً صافيةً في حجمِ فمي ، فأسرعتُ إلى  
ابتلاعِها قبلَ أن تَسْبِقَنِي إليها سمكةٌ أكبرُ مِنِّي . وكنتُ أقولُ في  
نفسي : « ما أسخَفَ نصائحَ أمِّي ! فإذا كانَ هذا هو الإنسانُ  
فهو في الحقيقةِ مخلوقٌ طيبٌ كريمٌ » .

ولكنْ لم أَكْذُ أَبْتَلِغُ القطعةَ الشهيةَ حتى أدركتُ خطأ  
تَسْرُعِي ، وطعني في نُصْحِ أمِّي ، فقد كانت قطعةُ الطعامِ مجردَ  
طُعْمٍ ، ترقُّدٌ بِدَاخِلِهِ صَنَّارَةٌ حَادَّةٌ ، دخلتُ في فَكِّي وعلقتُ  
به . وحاولتُ الانفلاتَ بكلِّ قوَّتِي فلمْ أَفْلَحْ . كانت قوةُ أكبرِ  
مَنِّي تَسْحِبُنِي إلى أعلى . وفي لحظةٍ وجدتُ نفسي على ظهرِ

السفينة بين يدي حيوان آدمي قاسٍ عنيف . وأمسك بعُنُقِي ،  
وأزال الشَّصَّ من فُكِّي ، ورماني في سَلَّةٍ بجانبه ، وعادَ إلى مَلءِ  
الصنارة الغادرة بالطَّعمِ وإلقائها في الماء ، ليلتلعها مُغفلٌ أو  
مغفلة مثلي .

وكان يجلسُ إلى جانبِ الأدميِّ الذي صادني آدميٌّ آخرُ  
يَشْرِبُ سائلاً كريةَ الرائحةِ من قِرْبَةٍ جلدٍ ، ويبادلُه الحديث .  
وفهمتُ من كلامِهما أَنَّ المركَّبَ جاءَ من الطَّرَفِ الآخرِ  
للغُورِ السحيق الذي أطلقَ عليه البشرُ اسمَ أمريكا . وكانَ  
مُحمَّلاً بكنُوزِ دُولِ (المَايَا) و(الأزْتِيك) و(الإنكَا) القديمة .  
وكان المركَّبُ تابعاً لقائد أسباني كبير يُسمَّى (كورْطيس) .  
ومما حكاَهُ عنه البحَّارانِ فهمتُ أنه كان رجلاً شَرِساً قاسياً  
غادراً ماكرًا . . فقد استطاعَ أن يقبِضَ على ابنِ أحدِ مُلُوكِ  
الهنودِ ، ويطلبَ من أبيه أن يفتديَهُ بغُرْفَةٍ مليئةٍ بالذهب .  
وبعدَ أن ملأَ له الملكُ الهنديُّ الغرفةَ بالذهبِ رَفَضَ كورطيس  
أن يُسلِّمه ابنه . ولم يكتفِ بذلك ، بل صلبَهُ وأخرقَهُ حيًّا في  
ساحةٍ عامَّةٍ .



وسرت شهقة فزعٍ واستنكارٍ في جميع الأسماك الصغار الذين  
كانوا ينصتون بشوقٍ إلى قصة سداح ، وترددت همساتهم :

- يا له من حيوانٍ متوحش !

- يا له من همجي !

فرفعت سداح ذيلها لإسكاتهم ، واستأنفت حكايتها :

«نعم . ما أفسى الإنسان على أخيه الإنسان ! وزادت تلك  
الحكاية في تأكيد ما قالت لي أمي عن بني آدم . وندمتُ ندماً  
شديداً على عدم سماع نصيحها والابتعاد عن الآدمي الغدار !  
ولكن كان يبدو أن الآدمي الذي كان يشرب السائل  
القذر ، كان يعاني أزمة ضميرٍ لما فعله رئيسه كورطيس بابن  
الملك الهندي ؛ فقد كان يُردد : «إذا لم يُنزل علينا الله صاعقة أو  
يُعذبنا بما فعله كورطيس بذلك الشاب المسكين فلا أدري ماذا  
سيكون مصيرنا في الآخرة ؟» .

ومن كلام هذا البحار أدركتُ أن البشر ليسوا كلهم أشراراً .  
وداعبني الأمل في أن يُطلقوا سراحني ويُعيدوني إلى الماء ؛ فقد

كنتُ أشعُرُ بالاختِنَاقِ في الهواءِ . وبدأتُ أدعو الله في سِرِّي أن يُنَجِّني من هذه المِحنَةِ ، وأعاهدُه بأنِّي لن أغصِي أمرَ والدتي أبداً أبداً . . .

ولم يبدُ أن دُعائي قد استجيب ؛ فقد انضمَّ إليَّ بالسَّلةِ عددٌ آخرٌ من الأسماكِ التي كانت تموتُ بسرعةٍ لافتقارِها إلى الماءِ ، وحمدتُ الله على أنني مريئةٌ ، وأنني قادرةٌ على المقاومةِ مُدَّةً أطولَ .

وكان يبدو أن المركبَ غيرَ قادرٍ على الحركةِ بسبب هُدوءِ الهواءِ ؛ فقد كانت قلوْعُهُ خاويةً مُدلاةً من صواريها .

وانتهى البشريُّ الذي كان يشربُ من قِرْبَةٍ ، فطلب منه الصيَّادُ أن يأتي بِمِجْمَرٍ يشوينا عليه ، نحنُ الأسماكُ ، ليأكلانا .

وهنا صُعِقْتُ أنا ، وبدأتُ أتمنَّى وأدعو الله أن يقبِضَ رُوحِي قبل أن يحرقوني حيَّةً ، كما فعلوا بالأمير الهِندي .

وجاء الرجلُ بالمِجْمَرِ ، وهو يتمايلُ ، حتى يكاد يقعُ ، والصيَّادُ يضحكُ عليه . ويبدو أنه كان تحتَ مفعولٍ مشرُوبه

الحَادُّ. ووضَعَ المَجْمَرَ، ومدَّ يَدَهُ إِلَى السَّلَّةِ فَأَمْسَكَ بِأَصَابِعِ  
غَلِيظَةٍ مُشَقَّقَةٍ، وَلَكِنِّي اسْتَطَعْتُ الْانْزِلَاقَ مِنْ خِلَالِهَا  
وَالْانْفِلَاتَ إِلَى قَعْرِ السَّلَّةِ مِمَّا اضْطَرَّهُ إِلَى اخْتِيَارِ سَمَكَةٍ مِنْ  
الْأَسْمَاكِ الْبِيضَاءِ الْمَيْتَةِ.

وَبَعْدَ أَنْ أَكَلَا كُلَّ مَا كَانَ بِالسَّلَّةِ مِنْ سَمَكٍ أبيض، خِفْتُ  
عَلَى نَفْسِي، وَالتَّصَقْتُ بِجَانِبِ السَّلَّةِ حَتَّى لَا يَرِيَانِي، وَلَكِنْ  
كَانَ يَبْدُو أَنَّهَا شَبَعَا وَارْتَوَيَا مِمَّا شَرَبَاهُ مِنْ زِقٍّ بِجَانِبِهِمْ، وَقَعَدَا  
يُغْنِيَانِ، وَيَتَجَشَّانِ فِي نَشْوَةٍ وَمَرَحٍ.

«وَمَالَ الْأَوَّلُ عَلَى الصِّيَادِ وَهَمَسَ لَهُ:

- هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكْتُمَ سِرًّا؟

- طَبْعًا.

- سِرًّا خَطِيرًا، وَخَطِيرًا جَدًّا!

وَتَحَرَّكَ فَضُولُ الصِّيَادِ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ قَائِلًا:

- أَنْتَ تَعْرِفْنِي جَدًّا؛ بَثْرُ بِلَا قَعْرِ!

- إِذَا أَنْتَ كَشَفْتَهُ لِأَحَدٍ كَانَتْ فِيهِ نَهَايَةُ حَيَاتِكَ وَحَيَاتِي.

- يا إلهي ! لا بدَّ أنه سرُّ خطير جدا، وكبيرٌ جدا، بحيثُ لا  
تستطيعُ حمْلَه وحدك!

فتنهَّد البحَّار الأولُ، وقال :

- صدقتَ، لقد ضِيقْتُ به ذَرْعًا طَوَّلَ هذه المدَّة. وأريدُ أن  
يُشارِكَنِي أحدٌ في حَمْلِ عِثِّهِ الثَقِيلِ.  
- سَتَجِدُنِي حَجْرًا أَصَمَّ.

ونظر الأولُ حوالِيه، ثم اقْتَرَبَ من أُذُنِ الصيَّادِ وهمس :

- ربَّانُ سفِينَتِنَا (فالدیز) يريدُ بِمِلِكَتِنَا (أصايبِلا) شَرًّا.

- ماذا ؟ !

- إنه يُريدُ الاستيلاءَ على عَرْشِ أسبانيا.

- وكيفَ عَرَفْتَ ؟

- سَمِعْتُهُ يَرُدُّ ذَلِكَ، ونحنُ في إحدى الغاباتِ دون أن

يراني.

- ربما كان يردد حُلْمًا من أحلامِ يَقْظَتِهِ بصوتِ عالٍ ! وكلنا

نحَلُمُ بالعِظائِمِ، ولكنَّ تحقيقَ تلكَ الأحلامِ قد يكونُ مُستحيلاً.

فزاد البحارُ اقترابًا من زميله ، وقال :

- ليسَ على فالديز؛ فهو يملكُ وسيلةً لتحقيقِ أحلامِهِ .

- وما هي هذه الوسيلة ؟

- هذا هو قلبُ السرِّ الذي يعتقدُ فالديز أنه يعرفه وحده .

فقد عَثَرَ في أَحَدِ مَخَابِئِ هِنُودِ (الإنكا) على عصا سحريةٍ قال له كاهنُ المعبدِ : «إنها تُسمَّى صولجانَ الحِكْمَةِ ، تُحقِّقُ عَشْرَ أمانٍ» . وَكُنْتُ أَنَا أستمعُ من خلفِ شجرةٍ إلى الحديثِ الذي كان يَتمُّ عن طريقِ ترجمانٍ هندي .

- وهل صدَّقتَ ذلك؟ أنتَ تعرفُ أن الهنودَ مُشْعُوذُونَ وخُرَافِيُّونَ .

- لا ! لمْ أَصدِّقه حتى رأيتُ الدليلَ بعينيَّ هاتين .

- كيف؟

- تبعْتُ فالديز والترجمانَ وَسَطَ الأدغالِ الكثيفةِ . ولا بدَّ أنَّ (فالديز) شَعَرَ أنَّ التُّرجمانَ الهندي يَريدُ الاستيلاءَ على العصا السحريةَ ، فتركه يبتعدُ عنه قليلًا ، ووجَّهها نحوه ، وقال لها :



«أَحْرِقِي التُّرْجَمَانِ». وفي اللحظة نفسها اشتعلت النارُ في جسدِ  
الترجمان الهندي حتى صارَ شُعْلَةً آدميةً تصرُخُ وتجري وتَحْتَكُ  
بالأشجارِ والأرضِ لإطفاءِ اللهبِ، دونَ جدوى.

وفتح الصيادُ فمَهُ متعجبًا:

- يا إلهي ! وماذا فعلَ بعدَ ذلك ؟

- سَمِعَتْ قريةٌ هنديةٌ صراخَ التَّرجَمَانِ فخرجوا ينظرون . .  
وحين رأوا جثَّةَ ابنِ جنسهم محروقةً تبعوا آثارَ فالديز بين  
الأدغالِ . كان يريدُ الفرارَ منهم حتى لا يُضطرَّ لتبذيرِ أمانيه  
العشرِ . ويبدو أنهم لحقوا به فاضطُّروا إلى التخلُّصِ منهم عن  
طريقِ العصا السحرية . وحين تخلَّص منهم وجد نفسه هائمًا  
على وجهه، داخلَ الأدغالِ، فكان عليه أن يستعملَ العصا  
مرةً ثالثةً ليعودَ إلى الشاطئ . وهكذا ضيَّعَ بعضُ أمانيه الغاليةِ  
بحماقةٍ كبيرة . ولكن ما تزال بالعصا سَبْعُ أمانٍ يمكنُ أن ينفذَ  
بها خطَّتَه الجهنمية في أسبانيا .

ولم يكذُ يُتَمِّ كَلامَهُ حتى خرجَ لهما رَجُلَانِ، أحدهما أبيضُ  
يلبسُ ملابسَ فخمةً كثيرةَ الألوانِ والريشِ، لا بُدَّ أنه كان

فالدیز ربّان المركبِ ، والثانی عملاقُ أسودُ أبکم .

وأمسک کلّ منها بأحدِ البحّارةِ فطعنه بخنجره ، ورمیا بهما  
إلی البحرِ فنزلا إلی القعرِ بسرعةٍ ، واجتمعت علیهما القروشُ  
الکاسرةُ فافتَرستهُما ، ومزقتُهما إزبًا إزبًا .

وکنْتُ أنا أتفرجُ علی ما یحدثُ وأرتعدُ من الدُّعْرِ !  
خُصوصًا حین التقطَ الرجلُ الأسودُ القصبةَ الّتی کان یصیدُ  
بها البحارُ ، وكسرها ورمّاها فی الماءِ . ورأیتُهُ ینظرُ إلی السِّلَّةِ  
بعینینِ حمراوینِ ، فقلتُ : « لا بدّ أنه سیفعلُ بی ما فعلَ  
بالبحّارینِ » . ولكنه رمى بالسِّلَّةِ إلی البحرِ ، دونَ أن ینظرَ إلی  
ما بداخلها .

وبقیَت السِّلَّةُ تسبحُ بی فوقَ الماءِ ، وأنا أتنفّسُ لأوّلِ مرّةٍ  
داخلَ الماءِ الباردِ الّذی کان یغمُرُنّی ، وأستردُّ قُوائِ المنهوكة .  
وهبَ نسیمٌ خفیفٌ جعّدَ وجهَ الماءِ ، ولم یلبثْ أن تحوّلَ إلی  
هواءٍ غریبٍ ملأ قلعَ السفینةِ ، وبعثَ الحَرَکةَ والحياةَ علی  
ظهرها ، فبدأتْ تتحرکُ رافعةً مرسأها .

ولكنَّ الهواءَ لم يلبثُ أن تحوّل إلى ريحٍ عاتيةٍ ، فعاصفةٍ مزّقتُ  
قُلُوعَ السفينةِ ، وحوّلَتْهَا إلى سُيُورٍ متهدّلةٍ ! وارتفعتِ الأمواجُ  
فغرقتُ بي السلةَ إلى القعرِ .

وتحوّلتِ العاصفةُ إلى إعصارٍ هبّج البحرَ ، ومخضّةٍ مخضّا  
شديدًا ، ولعبَ بالسفينةِ الثقيلةِ حتى صارتُ كريحَةٍ تُغطّيها  
الأمواجُ من كلِّ جانبٍ !

ولم تلبثُ أن انشطرتُ شطرينِ وابتلَعَهَا المَحِيطُ ! » .

وسكتت المرينة العجوز، والتفت بالسارية الرُخامية، وهي  
تلهت من شدة المجهود الذي بذلته في الحكاية . . .

وتنفست الأسماك الصغار جميعها الصُعداء. وحمدوا الله على  
أنها مجرد حكاية. فقد كان بعضهم يعتقد أنه سيجد الإغصار  
بالخارج حين يخرج، ولن يستطيع الذهاب إلى جحر أهله.

وحين استراحت سداح قليلا رفعت رأسها فهدأت أصوات  
الصغار، فقالت وهي تختتم القصة:

«وحين هدا الإغصار، بقيت بعض ألواح السفينة وقلوعها  
وصواريتها طافية على وجه الماء. أما الكنوز التي سرقها الأسبان  
من الهنود الحمر، فقد انحدرت إلى الغور السحيق، وهي ما  
تزال هناك منذ ذلك العهد حتى الآن».

وهنا همس آختو لامه شعله:

- ذلك هو الكنز الذي قالت لنا عنه مُذهبة. اسألها أين

يوجد بالضبط؟

فَأَسْكَنَتْهُ أُمُّهُ قَائِلَةً :

- لَيْسَ الْآنَ . حَتَّى يُخْرِجَ الْأَطْفَالَ .

وَهُنَا تَنَاءَبَتْ سِدَاحُ الْعَجُوزِ ، وَأَشَارَتْ بِذَيْلِهَا إِلَى الصَّغَارِ :

- صَبِّحْكُمْ اللَّهُ بِالْخَيْرِ . .

فَرَدُّوا كُلُّهُمْ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ :

- صَبِّحْكَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ ، يَا جَدَّتَنَا سِدَاحُ ! وَشُكْرًا لَكَ عَلَى

الْحِكَايَةِ .

فَارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِ الْمَرِيئَةِ الْعَجُوزِ ابْتِسَامَةٌ ارْتِيَا حِ  
وَرِضًا . وَأَخَذَ صَغَارُ الْأَسْمَاكِ يُخْرِجُونَ لِيَلْتَقُوا أَهْلِيهِمْ خَارِجَ  
الْجُحْرِ .

وَحِينَ خَرَجَ الْجَمِيعُ اقْتَرَبَتْ شِعْلَةٌ وَابْنُهَا مِنْ مَنْصَةِ سِدَاحِ ،  
وَالْقَنْفَذُ الْحَارِسُ خَلَفَهَا . وَأَحْسَتْ سِدَاحُ بِاقْتِرَابِهَا ، فَرَفَعَتْ  
رَأْسَهَا بِقُوَّةٍ ، وَسَأَلَتْ بِصَوْتٍ حَادٍّ :

- مَنْ هُنَاكَ ؟

فَتَكَلَّمَ الْقَنْفَذُ :



- أنا يا سيدتي . عندنا الليلة ضيوفٌ جاؤوا لزيارتكِ من بلادِ الشواطئ .

- ضيوفٌ من بلادِ الشواطئ ؟ أهلا بِهِم وسهلا .

وتقدمت شعلهٌ فسَلَّمَتْ عليها ، وقالت :

- أنا الأخطبوطُ شُعلة ، وهذا ابني آختو .

ودفعتهُ نحوها ، فسَلَّمَ عليها هو أيضا ، فقالت :

- أهلا بِكُما في بلادِ (جُرْفِ الغُورِ) . ماذا جاء بِكُما من

بَلَدِكُما البعيدِ إلى هنا ؟

فقالت شعله :

- أَرْسَلْتَنَا إِلَيْكِ (مُذْهَبَةً) لَتَدُلِّيْنَا على سفينةِ الكنوزِ

الأسبانية .

- وماذا تريدانِ من السفينةِ ؟

- نُرِيدُ تقديمَ هديةٍ مناسبةٍ لصديقةِ آدمية .

فظهرَ الانفعالُ فجأةً على وجهِ سداحِ العمياء ، وقالت :

- هديةٌ لأدمية ؟ هل جُنتِ ؟ ألم تسمعي ما حكيته اللحظة  
عن تصرفات بني آدم ؟ ! وأنتم سُكَّانَ الشواطئ ، أذرى بهذا  
الجنس . فقد لوَّثَ الشواطئ بالزفت والقطران والكيماويات  
المُسْمُومة التي قَضَتْ على ملايين بيضنا وأنواعنا . وكيف  
تظنين أنني فقدتُ بصري ؟ لقد تعرَّضْتُ لانفجار قنبلة أعماق  
وأنا أتفرَّجُ على غواصةٍ أثناء إحدى حُرُوبِ البشر المخيفة .  
فكيف تريدان تقديم هدية لهذا الجنس الفتاك ؟

فقالت شعله :

- صدَّقيني ، يا جدتي ، إنَّ هذه الأدمية تختلفُ عن بني  
جنسها ؛ فقد أنقذتُ ولدي آختر من موتٍ مُحَقَّقٍ على يد صيَّادٍ  
مُجْرِمٍ كادَ يطعنه بسهمٍ حديدي . وقد عرَّضْتُ كفَّها للسهمِ  
دِفَاعًا عن حياته . ولا أريدُ أن يعتقد بنو آدم أننا ، نحنُ  
الأسماك ، لا نَعْرِفُ بالجميل .

فحرَّكتُ المرينة العجوزُ رأسها غيرَ مقتنعة ، وقالت :

- عاغ ! لا بد أنها كانت تريدُ ابنك لنفسها ، ولم تكن تحميه  
لِوَجْهِ الله .

- أبداً يا جدتي! فقد حملته من البركة التي كان فيها، ونقلته  
إلى البحر الكبير حتى لا يتعرض للخطر مرة أخرى...

- عاغ! لا أصدق ذلك...

- صدقيني يا جدتي... فقد بدأ بعض البشر يتغيرون. ألم  
تسمعي بجمعيات الرفق بالحيوان؟

- لم أسمع بجمعية الرفق بالأسماك.

ويئست شُعلة، فسكتت.

وارتفع صوت أختو باكياً خائب الأمل من موقفٍ سдах،  
فقالت هذه:

- لن ينفعك البكاء، يا ولدي! فقد أقسمتُ أمام جميع  
سَمَكِ المحيط ألا أفعل إلا ما يضر بالإنسان. ولا أستطيعُ  
التراجع عن قَسَمي.

ونادتِ القُنْفُذُ وقالت له:

- أكرّم ضيفينا، وخُذهُمَا إلى غرفة الضيوف لينامَا.

ونامَا تلك الليلة يحلمان أحلاماً مُزعجة.

وفي الصباح ترك آختو أمّه تُقَطِرُ مع سداح المرينة العجوز،  
وخرج يلعبُ ببابِ المغارةِ وَيَسْتَكْشِفُ مدينةَ (حِفافِ الغور).

وسأل آختو القنفذَ الحارسَ :

- لماذا سُمِّيتِ المدينةُ بحفافِ الغور ؟

فأجابه القنفذُ :

- لأنها تقعُ فعلاً على حِفافِ الغورِ السحيق .

- وأين هُوَ الغور ؟

فأشار القنفذُ غريبًا ، وقال له :

- حَذَارِ من الانزلاقِ إليه ، فهو مظلمٌ ، وعامرٌ بالغيلانِ

والعفاريت ...

وخافَ آختو ، ولكنَّ فضوله كان أقوى من خوفه . فتقدم

بحذرٍ . ولم يكذُ يصلُ إلى نهايةِ الزُّقاقِ حتى رأى حِفافَ الغورِ

العميق . فوقف على شفيرها وأطلَّ بعينينِ امتزجَ فيهما الحذرُ  
والخوفُ والانْبَهَارُ . . .

وقال لنفسه بصوتٍ مرتفع :

- إذا كان الكنزُ مدفونا هنا فلا فائدةً من البحثِ عنه !  
وأحسَّ بخيبةِ الأملِ ، ومرارةِ الفشلِ بعد الرحلةِ الطويلةِ ،  
فقعدَ على صخرةٍ يبكي .

وبينما هو كذلك ، إذ سمِعَ قهقهةً رقيقةً كزقزقةِ العصافير .  
ورفع رأسه ، فإذا (دلفين) يقفُ أمامه على سطحِ الغورِ يُحاوِلُ  
تسليتهُ بحركاتٍ بهلوانيةٍ . ولما لم يضحكْ آختوا اقتربَ منه  
بخطْمِهِ الكلبِيِّ البارِزِ ، وسأله :

- ماذا يحزنُك أيها الأخطبوطُ الصغيرُ؟

وفتح آختو فمه ليحكِي له ، ولكنه خافَ أن يكونَ جوابُهُ هو  
جوابِ المرينةِ خناثةِ نفسه ، ورُبِّمَا أغْنَفَ ، فقرَّرَ أن يكذبَ على  
الدلفينِ البهلوانِ ، وقال :

- جئتُ أنا وأمي لزيارةِ أحدِ أقاربنا بمكانٍ يقال له (كنز  
كورطيس) ، ولكننا لم نجدَ أحداً يدلُّنا عليه .

وفوجئ أختو بصوت أمّه من ورائه :

- لا يا أختو، لا تكذب على السيد دلفين! فقصدنا شريف، وكذلك يجب أن تكون وسائِلُنَا. والكذب شرّ.

فاحتجّ أختو:

- ولكنها كذبة بيضاء. لا شرّ فيها.

- ومع ذلك فهي كذبة.

فغضب أختو وقال:

- وماذا حصلنا من وراء الصّدق حتى الآن؟

فزِعَقَ الدلفين في وجهه:

- عيبٌ يا أختو! لا ترفع صوتك على أمك!

وتوجّه إلى (شعلة) وقال:

- اسمحي لي أن أقدم نفسي يا سيدتي، اسمي (ضاحك)،

وأنا من سگان الغور، وفي خدمتك!

فمدّت (شعلة) إحدى أيديها مُصافحةً له، وقالت:



- شكرا لك ، وأنا (شعلة) ، وهذا ابني آختو. نحن نبحتُ  
في الحقيقة عن شيء يُعجِبُ الإنسانَ ، لتقديمه هديةً إلى فتاةٍ  
آدمية أنقذت حياة ابني هذا. وكلُّ الذين سألناهم من جنسِ  
السّمكِ وجدناهم يكرهون الإنسانَ ، ويرفضون المساعدة.

فضحك الدلفين ، وقال :

- شيءٌ غريب ! ولكنّ مشكّلتكما انتهت . انتهت تمامًا ،  
وفي هذه اللحظة ؛ فقد التقيتما حوتًا يُحبُّ الإنسانَ ويُقدّرُ  
مزاياه .

وانحنى أمامهما بحركةٍ مسرحية :

- إنه يقفُ أمامكما .

وقفز آختو فرحًا حتى سقطَ في الغورِ ، فدخل ضاحك تحتَهُ  
وأخرجه ، وطلب من شعلة أن تركّبَ هي الأخرى ظهره ،  
وتلتصقَ به جيدًا .

وصعدت شعلةً ، ووضعت آختو أمامها ، وألصقتُ  
مصاصاتِ أيديها الثانية بظهرِ الدلفين ، وهمستُ لآختو أن  
يفعلَ مثل ذلك .

وغاص بها ضاحكٌ إلى أعماقِ الغورِ، وهو يحكي لهما عن  
مغامراته مع بني الإنسان، وكيف أن المراكبَ تُلقِي إليه  
بالأكل الشهيّ، وكيف أنه أنقذ عددا من البحارة والمسافرين  
سقطوا من مراكبهم، أو غرقت بهم سُفنهم أثناء العواصف!

وبعد رحلةٍ دامت طَوَالَ النهارِ وطرفاً من الليل توقّف  
ضاحكٌ، أوقفتهُ شُعلةٌ، وأخبرتهُ أن طفلها آخَتو جاعٌ وتعبٌ،  
فقهقهَ ضاحكٌ وقال :

- يا لي من مُغفَلٍ ! كيف نسيْتُ ذلك؟ ولكننا اقتربنا من  
الكنزِ على أيِّ حال .

وأزخى عَضَلَاتِهِ القويَّةَ، وهوى إلى القعرِ كطائرٍ ينزلُ على  
الأرض . وحين لَمَسَتْ بطنُهُ القعرَ قال :

- انزِلَا، أنتما هنا، وسأذهبُ لأبحثَ لكُما عن شيءٍ تأكلانه .  
فقالت شُعلةٌ وهي تُنزلُ آخَتو :

- لا تُتعبُ نفسك . سنبحثُ نحنُ عن طعامنا .

وفي تلك اللحظة وقعَ شيءٌ غريبٌ، كان بساطٌ من الضوءِ  
الأصفرِ يقتربُ منهم . وفجأةً تحوّلَ ظلامُ الليلِ الحالكِ إلى ضوءٍ  
يشبهُ النهارَ . فخافَ آخَتو والتصقَ بأمه، ولكنَّ ضاحكاً كَتَمَ  
قهقهته المعهودةَ بصعوبةٍ كبيرةٍ، وتحفّزَ للانقِصاضِ !

نظرَ الثلاثة إلى أعلى فإذا البساطُ النُّورانيُّ يَمُرُّ من فوقهم  
على مَهَلٍ . وفجأةً انطلقَ ضاحِكٌ كالسهمِ المارِقِ ، فخرقَ  
البِساطَ بجسده القوي .

والتفتَ آخِثو إلى أمِّه سائِلا :

- ماذا يفعلُ ضاحِكُ؟

قالت شعله مُهدِّئةً روعه :

- إنه يصطادُ لنا بعضَ سمكِ السردِين (والشُّطُون) .

- في ذلك الضوء؟

- ذلك الضوءُ يصدُرُ عن الفُوسفُورِ المُركَّزِ في عظامِ وأنخاخِ  
السردِين والشُّطُون . ولذلكَ أحضُك على أَكْلِهِ ، حتى تقوى  
عِظَامُكَ وعَيْنَاكَ وذكاؤُكَ . . .

وبدأت تتساقطُ عليها عشراتُ السردِيناتِ والشُّطُوناتِ  
التي مَضَعَهَا ضاحِكٌ وأرسلها إليهم . وأخذوا يأكلانِ في نَهمٍ  
والتذاذ!

ونزل ضاحِكٌ فانضمَّ إليهما ، وهما يشكرانه على حُسْنِ  
ضيافته .

وناموا تلك الليلة في مغارة قريبة . وفي الصباح الباكر ترك  
آختو أمّه نائمة في المغارة ، وخرج يَسْتَكْشِفُ المِنْطَقَةَ .

وبحث عن ضاحك فلم يجده ، ولكنه رأى ظلّه على القعرِ .  
فَرَفَعَ عينيه فإذا بضاحك طاف على وجه الماء بلا حراك !

ودق قلبه بعنف ، ودخل يجري إلى أمّه فأيقظها لاهثًا وقال :

- أمي . . . أمي . أفيقي ! تعالي انظري إلى ضاحك . إنه

مات !

فخرجت شعلة منزعجة ، ونظرت إلى حيث كان ضاحك  
طافيا ، ومسحت عينيه وتشاءبت بغير مبالاة أحنقت آختو ،  
وقالت :

- أفرعتني يا آختو ! إن ضاحكا نائم ، وهو ينام قُرب السطح  
لأنه يتنفس الهواء .

فاستغرب آختو لذلك وقال :

- مثل الإنسان ؟

- تمامًا . ولكنه لا يستطيع الحياة خارج الماء ، فالشمس

تحرق جلده .

- مثل الإنسان!

- تمامًا . ولكن ليس له يَدَانِ ولا رِجْلَانِ . وهو يَلِدُ وَيُزْضَعُ  
كالإنسان . ولا يَخْرُجُ من البيض كبقية الأَسْهَاقِ .

- سبحانَ الله ! لذلك يُحِبُّ الإنسانَ . لأنه ابنُ عَمِّهِ .

- تمامًا .

وتركَ آخَتُو أُمِّهِ ، وذهبَ يتجولُ في الغابةِ المجاورة . وهناك  
عَثَرَ على سِرْبٍ من الأَسْهَاقِ الصغيرةِ ، فاجتمعوا عليه يسألونه  
عن بلده ووجهته في فضولِ صبيانٍ .

وحين استأنسوا به بدأ هو الآخر يسألهم عن بلدهم ، وعن  
مكانِ سفينةِ الكثرِ ، فَحَكَّوْا له كُلَّ ما سمعوه من كبارهم .

ولم يفارقهم حتى سمعَ أُمُّهُ تناديه ، فودَّعَهُمْ ، وعادَ إليها .

وضحكَ ضاحكٌ حينَ رآه وسأله :

- ألم تكن تعرفُ أنني أتنفَسُ الهواءَ؟

وحين أفطروا بما بقيَ من أَسْهَاقِ الأَمْسِ ركبَتِ شَعْلَةُ وآخَتُو  
مَثْنً ضاحكٍ ، وانطلقوا يَمْخُرُونَ عُبابَ المُحِيطِ .



وفي مُتَّصِفِ النهارِ توقَّفَ ضاحِكٌ وقال :

- لقد وصلنا إلى سفينة الكنز.

ودقَّ قلبُ آخَتو، وأخذ يقفزُ فرحاً فوقَ ظَهْرِ ضاحِكٍ، فقد  
سمعَ كثيراً عن الكنوزِ، ولكنه لم يرَ كُنْزاً في حياتِه.

وتنحنَحَ ضاحِكٌ، وقال :

- هناك مُشْكِلَةٌ صغيرة.

فهَبَطَ قلبُ شُعلة :

- ما هي ؟

- حارسُ الكنزِ.

- وهل على الكنزِ حارسٌ ؟

- إنه أخطبوطٌ ضخْمٌ عجوزٌ سَكَنَ سفينةَ الكنزِ منذُ  
غَرِقَتْ، وهو يعتقدُ أن رسالته في الحياة هي حراسَتُها . ولا أحدَ  
يدري لماذا ؟

فسألت شُعلة مُشْفِقَةً :

- وماذا سنفعل ؟

- اترك الأمر لي . لقد فكرت طوال الطريق في خطة .

واقترَبَ آخِثُ الَّذِي كَانَ يُنْصِتُ بِاهْتِمَامٍ ، فَأَضَافَ ضَاحِكٌ :

- سأهاجِمُه دَاخِلَ الْمَرْكَبِ .

وَحِينَ لَمْ تَتَحَمَّسْ شَعْلَةٌ وَابْنُهَا لِلْفِكْرَةِ ، تَوَقَّفَ عَنْ قَهْقَهَتِهِ

فِي الْحَالِ ، وَاقْتَرَبَ مِنْهَا بِأَنْفِهِ سَائِلًا :

- أَلَمْ تَعْجِبْكَمَا خَطَّتِي؟

فَتَكَلَّمَتْ شَعْلَةٌ بِأَدَبٍ زَائِدٍ :

- أَرْجُو أَلَّا تَغْضَبَ مِمَّا سَأَقُولُهُ يَا سَيِّدَ ضَاحِكٍ .

فَقَهْقَهَ ضَاحِكٌ ، وَقَالَ :

- لَوْ كُنْتُ أَغْضَبُ لَمَّا سَمَوْنِي ضَاحِكًا .

فَعَلَّقَتْ شَعْلَةٌ :

- تَعْجِبُنِي رَوْحُكَ الرِّيَاضِيَّةُ ، لِذَلِكَ سَأُصَارِحُكَ بِأَنَّ

خَطَّتِكَ هَذِهِ لَنْ تَنْجَحَ .

فَسَأَلَ ضَاحِكٌ :

- وَلَكِنْ لِمَاذَا؟

- لأنك ستقاتل الأخطبوط الحارس في ميدانه . وصدّقني ،  
إنك لن تستطيع التغلب عليه .

ففكر ضاحك مليًا ، وقال :

- وماذا سنفعل ؟

فقالت شعله :

- يجب أولاً أن نُخرجَه من هناك وذلك يتطلب الحيلة ،  
وليس القوة .

واستغرق الاثنان في التفكير .

ولم ينتبها إلا حين أخذ اختو يصرخ ويُعكّر الماء بدُخانِه ،  
فقالت له أمه معاتبه :

- ماذا تريدُ؟ ألا ترى أننا نفكر؟

- أريد أن تستمعا إليّ!

فقالت شعله على مضض :

- ماذا تريد أن تقول؟ لا تُضيع وقتنا . قل بسرعة !

- أريدُ أن أقولَ إنني أعرفُ حيلةً لاستِذراجِ الأخطبوطِ الحارسِ من قلبِ سفينةِ الكتز.

وشبكت أمّه أذرعَها الثانيةَ بصبرٍ نافذٍ وقالت :

- وما هذه الحيلة؟

- سمعتُ من أبناءِ هذه المنطقةِ أن الأخطبوطَ الحارسَ فقد إحدى أيديه في معركةٍ مع خنكليس ، ولم تبقَ له إلا سَبْعُ أذْوَاعٍ . وقد أطلقَ عليه أهلُ المنطقةِ لقبَ (أبي سبعة) . وهو يكرهُ هذا اللقبَ جداً ؛ لأنه يذكّرهُ بنقصه . وكلُّ من ناداه به يطاردُهُ ويقَاتِلُهُ .

ففتح الدلفينُ ضاحكاً فمه إعجاباً لفكرةِ أختو، وقال :

- جاءنا الحل !

ونقلتُ شعلةَ بصرها بينها غيرَ فاهِمةٍ ، فشرحَ أختو :

- إذا ناديناَه بأبي سبعةٍ خرجَ من السفينةِ ليطاردنا وتركها

دونَ حراسةٍ !

فلمعتُ عينا شُعلةً ، وضمتُ ابنتها إليها قائلةً :

- أنت ولد ذكي !

ثم ترددت قليلا وقالت :

- ولكن لا ينبغي أن نناديه نحن . فقد يهاجمنا .

فتقدم ضاحك ، وقال :

- اتركا الأمر لي .

وتقدم الثلاثة قليلا ، فظهرت لهم سفينة الكنز غارقة إلى نصفها في الطين ، وقد نبتت حولها غابة من الطحالب وأحجار المرجان حتى كادت تغطيها .

وفتح آختر فمه مبهورا بمنظر السفينة القديمة الغارقة . لم يكن يعتقد أن ما حكته المريئة العجوز (خنائة) حدثا واقعا .  
وها هو الآن يقف أمام مشهد لم يكن يظنه موجودا إلا في الخيال .

وتقدم الدلفين ضاحك من باب السفينة المظلم ، وصاح :

- يا أبا سبعة ! يا ناقص واحدة !

وأخذ يضحك ويقهقه ويتمرغ فوق الطحالب مستفزا  
الأخطبوط العملاق .

ولم تَمُضْ لحظةٌ حتَّى خرجتُ من فوهةِ السفينةِ زوبعةٌ دُخانٍ  
أسود غطَّت السفينةَ وما حولها ! وخرجَ الأخطبوطُ الضخمُ  
غاضبًا يبحثُ عن مناديه بذلك اللقبِ الكريه، وكأنهُ مارِدُ  
خرجَ من قَمُقمُ !

وفوجئ به ضاحك وهو فوقه كمظلة كبيرة من العضلاتِ  
الفولاذيةِ المفتولةِ ! وقبلَ أن يُطبِقَ عليه برمشة عينٍ، انفلتَ  
ضاحكٌ من تحته بسرعةِ السهمِ، وابتعدَ يقهقهةً ويصيحُ :

- خرجتُ ! خرجت من فتحةِ الذراعِ الثامنة !

وزادَ حنقُ الأخطبوطِ الحارسِ، فدفعَ الأرضَ بكلِّ قُوَاهُ  
وجميعِ أذرُعِهِ، وانطلقَ خلفه . وانتظره ضاحكٌ حتى اقتربَ  
منه، فأطلقَ في وجهه قهقهةً أخرى، وصَفَعَ وجههُ بذيله  
وابتعد .

واغتنمتُ شعلةَ فرصةٍ خُلُوِ السفينةِ، فأمسكتُ بيدِ آختو  
ودخلتُ مسرعةً، وهي توصيه :

- لا تضيعِ الوقتَ في اللعبِ بما قد تعثرُ عليه من لُعبٍ .  
ابحثُ عن صَوْلجانِ الحكمةِ، العصا السحريةِ التي حَكَتْ لنا  
عنها المريئةُ العجوزُ، فتلِك أنسبُ هديةٍ لصديقتك وردة .



وتسللاً إلى داخل السفينة من إحدى نوافذها الجانبية .  
وبداخلها كان دخانُ الأخطبوط الحارس ما يزالُ منتشرًا كظلامِ  
الليل .

ووقف الاثنانِ ينتظرانِ أن ينقشع . . شيئًا فشيئًا بدأت  
أشعةُ الضوء تخرقُ جوَّ المكانِ ، فتكشفُ عن منظرٍ يحبسُ  
الأنفاس .

كان بطنُ السفينةِ عبارةً عن فراشٍ من الجواهرِ النفيسةِ ،  
تتألاً بجميع ألوانِ قوسِ قزح ! وعلى جوانبها كانت رفوفٌ من  
خشبٍ مُتآكلٍ تكشفُ عن سبائكٍ من الذهبِ الخالص !  
ووقف آختر ينظرُ مبهوراً إلى هذه الألوانِ الجميلةِ حتى  
جذبه أمه من يده هامسة :

- تعالِ نبحثُ . قد يرجعُ الحارسُ في أية لحظة .

وأخذت هي جهةَ اليمينِ ، وأخذ هو ناحيةَ اليسارِ ، وأخذَا  
يزحفانِ بأرجلِهما السَّتَّ عشرةً ، ويبحثانِ تحتَ أكوامِ الجواهرِ  
وداخلِ الرفوفِ .

وكان آختو، لِصِغَرِ حَجْمِهِ، يَدْخُلُ جَمِيعَ الثُّقُوبِ مِهَا  
كانت صغيرة.

وَحِينَ خَرَجَ مِنْ إِحْدَى الْحُفَرِ يائِسًا جَاءَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ :

- هل وجدتَ شَيْئًا ؟

- لا... لا.

- يَجِبُ أَنْ نَفَكِّرَ قَبْلَ أَنْ نَبْحَثَ . إِذَا كَانَ صَوْلْجَانُ الْحِكْمَةِ  
ثَمِينًا جَدًّا ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَضَعَهُ صَاحِبُهُ فِي أَيِّ مَكَانٍ يَسْهُلُ  
الْعَثُورُ عَلَيْهِ .

- حَقًّا يَا أُمِّي . إِذَا كَانَ مُهَيِّمًا فَلَا بَدَّ أَنْ يُجَبِّتَهُ فِي مَكَانٍ أَمِينٍ .

- عَلَيْنَا إِذْنُ أَنْ نَبْحَثَ عَنْ غُرْفَةِ الرَّبَّانِ . فَهِيَ ذَلِكَ  
الْمَكَانُ .

وَتَوَجَّهَ نَحْوَ بَابِ سَمِيكِ مُقَوًى بِصَفَائِحِ الْحَدِيدِ . وَبَحَثَ  
آخْتُو عَنْ ثُقْبٍ يَدْخُلُ مِنْهُ فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا ثُقْبَ الْمِفْتَاحِ . وَدَخَلَ مِنْهُ  
إِلَى غُرْفَةِ الرَّبَّانِ ، فَوَجَدَ النُّورَ يَدْخُلُ إِلَيْهَا مِنْ ثُقْبٍ كَبِيرٍ  
بِالسَّطْحِ . فَهَبَطَ قَلْبُهُ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ قَدْ سَرَقَ  
الصَّوْلْجَانَ .

وجال آختر بعينه فرأى صندوقاً كبيراً مفتوحاً فتأكد من أن  
الصولجان كان بداخله وأنه سُرِقَ .

وهمَّ بالعودة إلى أمّه التي كانت قلقةً تناديه ليخرج من  
هناك ، ولكنه لاحظ دكة السرير الذي كان ينام عليه الرُّبَّانُ .  
فذهب إلى أمّه وهمسَ لها من خلف الباب :

- انتظريني قليلاً .

وأسرَعَ نحو الدَّكَّةِ ، فبحثَ في جوائِبِها عن ثقبٍ حتى  
وجدَه ، ودخلَ إليها .

وانتظرَ قليلاً حتى أَلْفَتْ عيناه الظلامَ ، وأخذَ يبحثُ يمينه  
ويسرةً فإذا بصندوقٍ مستطيلٍ عليه قُفْلٌ صَدِئٌ هَشٌّ ، فدخل  
بين القُفْلِ والصَّنْدُوقِ ودفعَ بكلِّ قُوّاه ، فانفَصَلَ القُفْلُ عن  
الصندوقِ . وأدخلَ إحدى أيديهِ فبحثَ داخلَ الصندوقِ فإذا  
عَصاً مستطيلاً ترقُّدُ بداخلِهِ . فأمسكَ بها بقوةٍ ، وفتحَ الغطاءَ  
ببقيةِ أذْرُعِهِ ، وخرجَ بها وعقلُهُ يكادُ يطيرُ فرحاً .

ولم يطلُ فرحه كثيراً .

ولم يكذ ينادي أمّه ليخبرها حتى سمعَ صرخاتٍ مرعبةً من داخل السفينة . وأطلَّ من ثقبِ البابِ ، وقلبه يُدقُّ بعنفٍ ، فرأى الأخطبوط الحارسَ يُطَوِّقُ عنقَ ضاحكٍ بإحدى أذرعهِ الفولاذية ، ويمسكُ بأمِّهِ شُعلةَ بذارعٍ أخرى ، ويضربُ بهما الأرضَ ، وهي تستغيثُ .

كان ضاحكٌ يفتحُ فمه فتخرجُ منه فقائِعُ الهواءِ المخزونِ في رثتيهِ فيُحسُّ بالاختناق .

وكانت شعلةٌ تُطلقُ ما تبقى في حوصَلَتِهَا من دُخانٍ في وجهِ الأخطبوطِ دونَ جدوى .

وهنا لم يبقَ أمامَ آخَتو إلّا حلٌّ واحد . ذلك هو استعمالُ العصا السحرية . . . فوجَّهَهَا نحوَ الأخطبوطِ الكبير ، وقال :

- يا صولجانَ الحكمة ، حولْ هذا الأخطبوطَ الشريرَ إلى سردينه بإذن الله !

ولم يُصدِّقْ آخَتو عينيه ، وهو ينظرُ من ثقبِ المفتاحِ ، إلى ما حدثَ للأخطبوطِ الجبَّارِ ، فقد انكَمَشَ بسرعةٍ كبيرةٍ حتى صارَ كُتلةً صغيرةً تحوَّلت في الحال إلى سردينه .

أما ضاحكٌ فظنَّ أنه أَفَلَتَ من قَبْضَةِ الأَخْطَبِوطِ بِمَخْضِ  
قُوَّتِهِ ، فَصَعَدَ بِسُرْعَةٍ إِلَى السَّطْحِ ، وَفَتَحَ خِيَاشِيمَهُ فِي الهَوَاءِ ،  
وَأَخَذَ يَتَنَفَّسُ بِقُوَّةٍ ، سَعِيدًا بِنَجَاتِهِ .

وكانَ عَجَبُ شَعْلَةٍ شَدِيدًا حِينَ أَفَاقَتْ من غَشِيَّتِهَا فَلَمْ تَجِدْ  
مِظْلَّةَ الأَخْطَبِوطِ الهَائِلِ فَوْقَهَا .

وخرجَ آخَتُو من الثُّقْبِ الكَبِيرِ ، وَجاءَ يَحْمِلُ بَيْنَ أَيْدِيهِ  
صَوِلْجَانُهُ الثَّقِيلَ ، وَوَضَعَهُ أَمَامَ أُمِّهِ . . .

وَفَتَحَتْ شَعْلَةٌ فَمَهَا فِي دَهْشَةٍ ، وَسَأَلَتْ :

- هل . . . هل وَجَدْتَهَا ؟

فَحَرَّكَ آخَتُو رَأْسَهُ بِالْإِيجَابِ ، وَقَالَ :

- نَعَمْ !

- حَقِيقَةٌ ؟ هَذِهِ هِيَ الْعَصَا السَّحَرِيَّةُ الَّتِي تَحْدُثُ عَنْهَا

خُنَاثَةٌ ، الْمَرِينَةُ الْعَجُوزُ ؟

- نَعَمْ ، هِيَ بِذَاتِهَا وَصِفَاتِهَا !

- وَكَيْفَ عَرَفْتَ ؟

- لقد جَرَّبْتُهَا .

- كيف؟

وهنا ظهر ضاحكٌ يقهقه وَيَقْتَرِبُ حَذِرًا من أن يفاجئهُ  
الأخطبوطُ . فالتفت إليه آخَتُو، وقال في مرح :

- الحمد لله على السلامة ، يا ضاحك !

فردَّ ضاحك ، وهو يراقبُ الأركانَ المظلمةَ بعينه :

- سلِّمَكَ اللهُ يا آخَتُو . . . ولكنَّ يَجِبُ أَلَّا نَبْقَى هنا حتى  
يعودَ ذلك الغولُ الشرُّسُ . لم أكُ أَصْدُقُ أَنِّي نجوتُ من  
قبْضَتِهِ الحديدية !

- لا تخشَ شيئاً الآن يا ضاحك !

فتدخلتُ شعلهٌ مُحْتَجَّةٌ على استهانةِ ابنها بالخطرِ، وقالت :

- لو كُنْتَ وقعتَ في قبْضَتِهِ لما تكلمتَ هكذا . . . لنذهب  
من هنا حالاً، وقبلَ أن يعودَ الحارسُ القاتلُ .

فضحك آخَتُو قائلاً :

- قلت لك لا تخافي يا أمي ، فقد زال الخطر !



وفي هذه اللحظة مرّت السردينة التي كانت أخطبوطاً عملاقاً  
أمام ضاحكٍ، فابتلَعَهَا دونَ جَهدٍ.

وسألت الأم:

- ولكن أين ذهب الأخطبوط؟

- ابتلعه ضاحكٌ منذ لحظة!

فغضبت الأم، وصاحت بولدها:

- ألا تكفّ عن مزاحك حتى ونحن في قلب الخطر؟

- أنا لا أمزح يا أمي. ألم تسأليني كيف جرّبتُ العصا

السحرية؟

- نعم.

- لقد جرّبتها على الأخطبوط، أمسكتُ بها، ووجهتها

نحوه، وقلت: «يا صولجان الحكمة، حوّل ذلك الأخطبوطَ

الشرير إلى سردينة بإذن الله»، وفعلاً تحوّل إلى سردينة في رمشة

عين!

وفتح ضاحكٌ فمه خائفاً:

- وقد بلعته أنا ! بلعته دفعةً واحدة . . . كُلُّ ذلك  
الأخطبوط الذي كان يملأ جوفَ هذه السفينة في بطني أنا ؟  
يا إلهي ! وماذا لو تحوّل إلى حالته الأولى ؟ سَيَنْفَجِرُ بطني !  
فهوّن عليه آخِثو قائلًا :

- لا تخفْ يا ضاحك ! ما دام معنا صولجانُ الحِكْمة فلن  
يحدثَ لك شيءٌ من ذلك بإذن الله . وعانقَ الصولجانَ بأذْرعِهِ  
الثانية ، وقال لأمِّه ولضاحك :

- والآن ، وقد أتممنا مُهِمَّتَنَا ، علينا أن نعودَ إلى بلادنا . . .  
فقد طالَ غيابُنا . ولا أدري ماذا حدثَ لصديقتي وردةَ  
المسكينة .

وتطوَّعَ ضاحكٌ مرةً أخرى ، فأخذَ الصولجانَ بين فكيه ،  
وأركَبَ شِعلَةً وابْنَهَا ، وانطلقَ يشقُّ الأعماقَ متوجِّهاً شرقاً نحوَ  
بلادِ الشواطئ .

أَمَّا وَرْدَةٌ، فَقَدْ نَامَتْ فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ ضَرَبَتْهَا أُمُّهَا نَوْمًا  
مُضْطَرِبًّا . . . بَاتَتْ تَحْلُمُ بِشَعْكُوكِ وَهِيَ يَحَاوِلُ طَعْنَ آخَتِ  
بِالْمِشْكِ، وَهِيَ تُعَرِّضُ لَهُ يَدَهَا فَيَطْعَنُهَا فِي كَفِّهَا.

وَفِي الصَّبَاحِ أَفَاقَتْ تَرْتَعِشُ مِنْ بَرْدِ الْحُمَّى الَّتِي أَصَابَتْهَا مِنْ  
التَّيْهَابِ جُزْحِ كَفِّهَا وَتَعَفُّنِهَا.

وَحِينَ وَجَدَتْهَا أُمُّهَا كَذَلِكَ غَضِبَتْ مَرَّةً أُخْرَى؛ لِأَنَّهَا لَنْ  
تَسْتَطِيعَ الزَّهَابَ لِلْعَمَلِ لِتَأْتِيَ بِالطَّعَامِ وَالِدَوَاءِ لَزَوْجِهَا  
الْمَرِيضِ.

وَبَعْدَ أَنْ لَطَمَتْ وَجْهَهَا، وَصَاحَتْ فِيهَا مُؤَنِّبَةً لَهَا عَلَى  
اِخْتِلَاطِهَا بِأَوْلَادِ السُّوقِ، كَشَعْكُوكِ وَأَمْثَالِهِ، قَامَتْ فَطَبَخَتْ  
لَهَا وَلَأْيِيهَا شُرْبَةً، وَخَرَجَتْ تَبْحَثُ عَنْ عَجُوزِ الْحَارَةِ الْمُعَاجِلَةِ.

وَبَعْدَ سَاعَةٍ عَادَتْ بِهَا، فَصَنَعَتْ هَذِهِ عِدَدًا مِنْ «الْلَّبَائِخِ»  
وَالْخَلَائِطِ وَضَعَتْهَا وَسَطَ كَفِّ وَرْدَةٍ وَأَقْفَلَتْهَا وَلَفَّتْهَا بِضِمَادَةٍ بَالِيَةٍ  
وَسِخَّةٍ.

وبانت وردة تعاني الألم في يدها تلك الليلة . وفي الصباح  
أخذتها أمها إلى فقيه الحارة ، فكتب لها تيممة ، وغسل جرحها  
الذي انتفخ وانفتح بقاء وسخ أذاب فيه رماد إحدى تمائمها ،  
فلم يزد إلا انتفاخا وتعفنا ، فنصحها والدّها أن تأخذها إلى  
الطبيب . وبكت الأم لسامع كلمة الطبيب ، وصاحت :

- من أين لي بفلوس الطبيب؟

- خذها لطبيب الدولة ؛ إنه مجاني .

فزاد بكاءها :

- يمكن أن تموت الطفلة قبل أن أصل إليه . الممرضون  
والممرضات يأخذون الرشوة أكثر مما يطلبه الطبيب الخاص .  
وهم يقفون كالزبانية على بابه !

وبدا الألم الحاد على وجه والد وردة ؛ فقد كان يتمنى ، أكثر  
من أي وقت في حياته ، أن يكون صحيح البدن ، ليأخذ ابنته  
إلى الطبيب .

وفي النهاية لم تجد الأم بُدًّا من أخذ ابنتها إلى الطبيب؛ فقد كانت تتألم كثيرا، والانتفاخ يزحف إلى ساعدها وذراعها.

وحين وصل دورها، بعد وقوف يوم بكامله على باب الطبيب، نظر هذا إلى اليد، وحرك رأسه في يأس، وقال للأم:

- تأخرت كثيرا في المجيء بهذه الطفلة إلى الطبيب! أخشى أنه ليس هناك علاج إلا قطع اليد...

وضربت الأم صدرها بيدها، وصاحت:

- قطع يد بتي؟!!

فأضاف الطبيب:

- إذا لم تُقطع اليد فسوف يسري الالتهاب إلى بقية الجسد وتموت الطفلة. هذه هي الوسيلة الوحيدة لإنقاذها. فكري في الموضوع، ولا تطيلي التفكير، وعودي اليوم إذا أردت العملية.

وقفت الأم تفكر بجد، فخافت ورده أن توافق أمها على بتر يدها، فانفلتت منها، وخرجت هاربة من المستشفى...

وظلت تجري باكية، وهي تحمل يدها المريضة بيدها السليمة، حتى وصلت إلى الشاطئ.

وبينما هي تتحبب والألم والحزن يغصران قلبها، إذ أحاطت  
بها عِدَّةٌ ظلالٍ . ومسحت عينيها ووجهها بكُمِّها، ونظرت  
حواليها، فإذا شعكوك وعصابتُه ينظرون إليها بتشفٍّ انتقامي  
بغض .

ومدَّ شعكوكُ يده الخشنة فضغَطَ على يديها المريضة قائلاً :

- ماذا تُخبِّئين هناك؟

وحين صاحت من الألم، ضحكتِ العصابتُ، فقال  
شعكوك :

- أرايتِ جزاءَ وقوفكِ في طريقنا ؟ أين هو الآن ذلك  
الأخطبوطُ البائسُ ليُنقِذَكَ من مُصيبتكِ؟

ونطقَ أحدهم قائلاً :

- إذا انتفختِ اليدُ بعد الطعنة بالمِشْكُ فلا علاجَ لها إلاَّ  
القطع . هكذا جرى «لَوْلِدِ عليّ» .

ودفعها أحدهم من الخلفِ فألقاها على وجهها فوق  
الرملِ ، وانطلقت العصابتُ تجرُّ خلفها قطعةً مربوطةً بشريطٍ في  
اتجاهِ المقابر . . .



ونَهَضْتُ وَرْدَةً، فَنَفَضْتُ عَنْ مَلَابِسِهَا الرَّمْلَ، وَتَوَجَّهْتُ  
نَحْوَ الصَّخُورِ الَّتِي كَانَ الْبَحْرُ قَدْ انْسَحَبَ عَنْهَا. وَهَنَّاكَ  
جَلَسْتُ فَوْقَ صَخْرَةٍ خَضِرَاءَ تَنْظُرُ إِلَى الْأَفْقِ فِي ذُهُولٍ  
وَصَمْتٍ.

وأيقظها من سُهُومِها صوتٌ غريبٌ يشبهُ «تُسْتُ» . . !  
 والتفتت حَوالِئِها فلم تَرَ أَحَدًا، وعادتْ إلى سُهُومِها . فعادَ  
 الصوتُ الخافِتُ : «تُسْتُ» . . !

ونظرتْ هذه المرةَ إلى الماءِ أمامِها ، فإذا رأسُ أختِها الصغِيرِ  
 خارجَ الماءِ يُلَوِّحُ لها بيدينِ منْ أيديهِ .

ونَسِيَتْ وردةً مَرَضَها تمامًا ، وقامتْ من فوقِ الصخرةِ ،  
 وانحنَتْ عليه ترُبَّتْ على رأسِهِ بأَصابعِ يَدِها السليمة . . .

ونظرَ هو إلى يَدِها الأخرى ، وقال :

- ماذا حدثَ ليدِكَ اليمَنى ؟

- مَرَضَتْ من طَعْنَةِ ذلك البغيضِ شَعْكَوكِ .

وأخذتْ تبكي بحرارةٍ حين تذكَّرَتْ مُحْتَتَها . فقال أختُها

حزينا :

- لماذا تبكين، يا وردة ؟

- لأنَّ الطيبَ قال لأمي لا بُدَّ من قَطْعِهَا حتَّى لا يَسْتَشْرِى  
المرْضُ في بَقِيَّةِ جَسَدِي . . .

فبكى أختو، هو الآخر، وقال :

- ليتني أستطيعُ إعطاءكَ يدًا من أيدي الثمانية ! فقد كنتُ  
أنا السببُ في كلِّ ما حَدَثَ لك . . .  
وهنا تكلَّمتُ أمُّه خارجةً من الماء :

- مساء الخير يا وردة . أرجو ألا تخافي مني . أنا أمُّ أختو،  
وقد كنتُ أودُّ أن أقابلكِ لأشْكركِ على إنقاذِ حياتِهِ . ولكنِّي لمُ  
أكنُ أتوقَّعُ مُقابَلَتَكَ في مثلِ هذهِ الظروفِ . ولعلَّ اللهَ أَرْسَلَنَا  
إليكِ في الوقتِ المناسبِ، كما أَرْسَلَكَ إلى أختو، في ذلكِ  
الوقتِ بالذاتِ، لتُنقِذِي حياتَهُ . . .

ونظرتُ إليها وردةٌ غيرُ فاهِمةٍ، فغيرتُ شعلَةُ الموضوعِ دونَ  
شرحٍ، وقالت :

- جئناكِ بهديةِ اعترافاً بجميلكِ . . . ولعلَّها تُنقِذُ حياتَكَ

كما أنقذتِ أنتِ حياةَ آختو. . .

وأشارتُ إلى آختو، فرفعَ العصا السحرية، وقال :

- جئناكِ بهذه العصا السحرية من سفينةِ الكنز، بأعماقِ  
الغورِ السحيق . وهي تُسمَّى صَوْلَجَانُ الْحِكْمَةِ ؛ لأنها تُحققُ  
لصاحِبِها عددًا من الأمنيات . . .

فقالت شعله لابنها :

- لماذا لا تُجربُها عليها، يا آختو ؟

فرفعها آختو، وقال :

- أرجو ألا تكونَ قد فرغتُ من الحكمة .

ثم وجَّهها إلى يد وردة المريضة، وقال بلهجة الأمر :

- يا صَوْلَجَانُ الحكمة، دَاوِ يَدَ وردة بإذن الله !

ووقف ينظرُ إليها هو وأُمُّه . . .

وأحسَّت وردةُ كأنَّ أحدًا يَضْغَطُ بيدِ ناعمةٍ على كَتِفِها نازلاً  
على ذراعِها وساعدها حتَّى يَدِهَا، وكأنَّه يسألُ المَرَضَ منها .  
وأحسَّت بيدِها تُشْفَى، وبالانتفاخِ يزول .

فأسرعت إلى إزالة الضمادات عنها، ونظرت إلى يدها فإذا هي صحيحة سليمة كما كانت من قبل . . .

وفتحت فمها مندهشة، وصاحت :

- مُعْجِزَةٌ ! معجزة !

وهنا مدت شعلة وأختو الصولجان الذي صار ثقيلاً حين أخرجاه من الماء إلى وردة، وسارعت هي إلى أخذه منها شاكرة تكاد تطير من السعادة بنجاتها، وسلامة يدها . . .

وضمت الصولجان إلى صدرها، وخاضت في الماء إلى أختو وشعلة اللذين كانا ينظران إليها ودموع الفرح في عيونهما. وانحنى فقبلت رأس كل منهما بحب كبير، وهي تقول :

- لا أدري كيف أشكركما، أجد نفسي عاجزة تماماً عن

الشكر . . .

ف قالت شعلة :

- أنا التي لا أدري كيف أشكرك على إنقاذ ابني من موت

مُحَقَّق . . . إذا احتجت إلى أي شيء من البحر، فما عليك إلا أن تقعدني على صخرتك هذه، وتصفري .

ثم رفعاً أيديهما مُودَّعَيْنِ ، وَغَطَّسَا .

ووقفت وردة تنظرُ إلى يديها مرةً ، وإلى الصولجانِ أخرى ،  
وتتساءلُ :

- هل هذه حقيقة أو أنا في حُلْم ؟ إنَّ مثلَ هذه الأشياءِ لا  
تحدُثُ إلَّا في قِصَصِ الأطفالِ الخيالية . . . فهل هي تحدُّثُ لي  
حقيقة ؟

والتفتت يميناً ويساراً لترى هل رآها أحدٌ تتسلَّمُ الصولجانَ  
من الأخطبوطِ ، أو سمِعَهَا أحدٌ تتحدَّثُ إلى نفسها ، فلم تر  
إلَّا أحجامَ شعكوكٍ وعصائيه فوق صخرةٍ بعيدة .

كان شعوكُ يربطُ القطعةَ المسكينةَ إلى حَجَرٍ كبيرٍ، وعصابتُهُ  
تصيحُ صيحاتِ الهنودِ الحمرِ، وتَدُقُّ على عُلْبِ القصديرِ،  
وترقُصُ حولَ القطعةِ الأسيرةِ . . .

وعرفتُ وردةً ما كانوا يريدون أن يفعلوا بالقطعةِ، فأسرعتُ  
نحوهم تجري كالريشةِ .

وحين صعدتِ الصخرةَ، ووقفتُ أمامهم تلهثُ فوجئوا  
بجزأتها بعد ما أصابها منهم من أذى . . .

ووضعتُ هي يدها على الصَّوْلجانِ داخلَ صدرِيتها،  
وصاحتُ فيهم:

- ماذا ستفعلونَ بتلك القطعةِ المسكينةِ ؟

فمَضَى شعوكُ في عَمَلِهِ غيرَ عابئٍ بسؤالها، وردَّ (بعكوكُ)  
مُسَاعِدُهُ:

- إذا لم تذهبي فعلنا بكِ أنتِ أيضا ما سنفعلهُ بها !



فَقَالَتْ وَرْدَةُ مُتَحَدِّثَةً :

- إِذَا حَاوَلْتُمْ أَنْ تَقْذِفُوا بِهَا إِلَى الْبَحْرِ فَسَتَنْدَمُونَ .  
وَهُنَا رَفَعَ شَعَكَوْكَ الْحَجَرَ الثَّقِيلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَاقْتَرَبَ مِنْ  
حِجَافِ الصَّخْرَةِ لِيُلْقِيَ بِهِ وَبِالْقِطَّةِ الْمَشْدُودَةِ إِلَيْهِ فِي الْمَاءِ .  
وَحَيْثُذِ أَخْرَجَتْ وَرْدَةُ صَوْلَجَانَ الْحِكْمَةَ مِنْ صَدْرِيَّتِهَا ،  
وَصَوَّبَتْهُ نَحْوَهُ :

- قِفْ !

وَارْتَعَدَتِ الْعَصَا السَّحَرِيَّةُ فِي يَدِهَا ، وَدَاخَلَهَا الْخَوْفُ مِنْ أَنْ  
يَكُونَ الصَوْلَجَانُ لَا يَعْمَلُ إِلَّا فِي أَيْدِي الْحَيَوَانِ !  
وَرَفَعَ شَعَكَوْكَ الْحَجَرَ مُتَحَدِّثًا ، وَقَفَزَ بَعَكَوْكَ مِنْ مَكَانِهِ  
لِيَخْتِطِفَ الصَوْلَجَانَ مِنْ يَدِهَا ، فَصَاحَتْ وَرْدَةُ بِالصَوْلَجَانِ :  
- يَا صَوْلَجَانَ الْحِكْمَةَ ، حَوِّلْ هَؤُلَاءِ الْأَنْذَالَ إِلَى فِيرَانَ بِإِذْنِ  
اللَّهِ .

وَلَمْ تُصَدِّقْ عَيْنُهَا وَهِيَ تَرَى جَمِيعَ أَفْرَادِ الْعَصَابَةِ يَتَحَوَّلُونَ إِلَى  
فِيرَانَ عَجَفَاءَ مُلْتَصِقَةً بِالْأَرْضِ .  
وَلَمْ يَفْطَنُوا هُمْ إِلَى مَا حَدَّثَ لَهُمْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ نَظَرُوا حَوَالِيَهُمْ ،  
فَرَأَوْا الْقِطَّةَ تَنْظُرُ إِلَيْهِمْ مِنْ فَوْقَ ، وَكَأَنَّهَا نَمِرٌ عَمَلِقٌ . فَأَخَذُوا

يَبْحَثُونَ عَنْ جُحُورٍ يَخْتَبِئُونَ فِيهَا ، وَالْقِطَّةُ تَحَاوِلُ الْفَكَاكَ مِنْ رِبَاطِهَا لِتَنْقُضَ عَلَيْهِمْ .

وَأُطْلِقَتْ وَرْدَةٌ سَرَّاحَ الْقِطَّةِ ، فَانْطَلَقَتْ تُطَارِدُ عِصَابَةَ الْفُئْرَانِ حَتَّى اخْتَبَأُوا فِي شِقِّ الصَّخْرَةِ .

وَوَقَفْتُ هِيَ فَوْقَهُمْ تَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَتَضْحَكُ مِنْهُمْ ، وَهُمْ يَسْتَعْطِفُونَهَا لِتُخَلِّصَهُمْ مِنْ مَخِيتِهِمْ . وَانْحَنَتْ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَتْ :

- وَدَاعًا ! سَأَتْرُكُكُمْ فِي أَيْدِ أَمِينَةٍ ! ثُمَّ ضَحِكَتْ وَقَالَتْ :

بَلْ بَيْنَ مَخَالِبِ أَمِينَةٍ . . قَرِيبًا يَمْتَلِئُ الْبَحْرُ وَيَصْعَدُ الْمَاءُ مِنْ تَحْتِكُمْ ، وَيَقَعُ لَكُمْ مَا كُنْتُمْ تَنْوُونَ فِعْلَهُ بِالْحَيَوَانِ الْأَبْكَمِ الْبَرِيِّ !

وَذَهَبَتْ وَتَرَكْتَهُمْ نَاقِيَةً أَنْ تَعُودَ لِتُخَلِّصَهُمْ بَعْدَ الْعُودَةِ إِلَى بَيْتِهَا .

وَفِي الْبَيْتِ وَجَدْتُ أُمَّهَا تَبْكِي عَلَى صَدْرِ أَبِيهَا الْمَرِيضِ بِمَرَارَةٍ وَتَقُولُ :

- ضَاعَتْ بِنْتِي وَرْدَةٌ ! ضَاعَتْ وَرَدَّتِي الْعَزِيزَةُ !

ودخلت وردة فوضعت يدها على ظهر أمها، وانحنى عليها:

- أمي، لا تبكي، يا أمي... ها أنا عذت!  
فرفعت أمها رأسها، وضمتها إلى صدرها، واستمرت في النحيب:

- بنتي وردة... لا أريد أن يقطع الطبيب يدك... من سيتزوج فتاة بلا يد؟ كيف ستشغلين في بيتك؟  
فقالت وردة وهي تربت بيدها التي كانت مريضة على خد أمها:

- شفيت يدي، يا أمي... انظري إليها... لم تعد مصابة!  
وحركت الأم رأسها باكية وغير مصدقة، فدفعتها وردة عنها برفق، وعرضت عليها يدها:

- انظري... انظري إليها... إنها سليمة!  
ونظرت الأم بعد أن مسحت دمعها، فظهرت الدهشة الشديدة على وجهها، وفتحت فمها لتكلم فلم تقدر.  
وشرحت وردة:

- إنها معجزة، يا أمي! ولا يمكن أن تقع إلا في الخيال...!  
أنا كذلك لم أصدق عيني... ولكنها حقيقة!

وسمعت أباها يسأل، فاقتربت منه، ومدت له يدها  
فلمسها بيديه ليتأكد، وأخذ يقبلها، ويخضبها بدموعه...  
وأقعدتها أمها في حجرها وأخذت تسألها، وهي تحكي لها  
عن كل ما حدث...

وحين حدثتها عن صولجان الحكمة الذي يحقق الأماني،  
رأت في عينيها بريقاً غريباً...

فقالت ورده مستدركة - وهي تدعو الله أن يغفر لها  
كذبتها:

- ولكن لم تبق به إلا أمنية واحدة، كما قال لي اختو،  
الأخطبوط، وعلينا أن نفكر جيداً قبل أن نتمناها. فليفكر كل  
منا في أمنية، فإذا اتفقنا على واحدة تمنيناها.

فرفعت الأم وجهها إلى السماء، وقالت:

- أمني أن أأصبح شابة جميلة وغنية... تصوراً، إذا  
أصبحت كذلك، فسوف أسعدكم جداً...

والتفتت وردة إلى أبيها وقالت :

- وما هي أمنيتك يا أبي؟

فهمس بصعوبة :

- جاء في الأثر: «إذا سألتُم الله فاسألوه العافية». ويقولُ

المثل: «الصَّحَّةُ تاجٌ على رؤوس الأصحاء، لا يراها إلا المرضى». لذلك فأنا أتمنى على الله الشفاء والصَّحَّةَ . . .

والتفتت الأم لزوجها، وقالت :

- الصَّحَّةُ وحدها لا تكفي! سنبقى كما كنَّا فقراء . . .

وقال هو:

- وأنتِ إذا أصبحتِ شابةً جميلةً وغنيةً، فلن تستطيعي

البقاء معنا في هذا الكوخِ الحقيق، ومع رجلٍ مريضٍ وكبيرِ

السنِّ مثلي!

فالتفتت الأم لوردة وقالت :

- احْكُمي أنتِ بيتنا، يا عزيزتي . . . فأنتِ صاحبةُ

الصولجانِ . ما هي أمنيتك؟

فرفعت وردة عينيها إلى السماءِ باسمه، وقالت :

- أمنيّتي أنا ستُحقّقُ لنا جميعاً ما نتمنّاهُ . . . أنا أتمنّى لنا  
السعادة!

فحرّك الأب رأسه مُوافقاً، وقالتِ الأم:  
- كيفَ لم أفكر في ذلك؟ يا لي من مُغفلة!  
وأخرجتُ وردة الصولجان، ووضعتُ بينهم وقالت:  
- يا صولجان الحكمة، حقّق لنا نحن الثلاثة السعادة  
والهناء بإذن الله . . .

وفي اللحظة نفسها بدأ الأب المريض يشعر بدفء غريب  
يسري في عظامه الباردة، ولأول مرّة رفع رأسه عن الوسادة،  
وجلس دون مُساعدة.

وأحسّت الأم براحة وطمأنينة تملأ صدرها، وبمشاعر  
الانقباض والحسرة والقلق تُزايِلها.

ووقف الأب لأول مرّة، فزغردتِ الأم، وأمسكتُ بيده  
فأخرجته من الكوخ إلى الساحة المقابلة للبحر، وهو يتسّم  
ويقول:

- الحمد لله تعالى، قريباً سأعودُ إلى عملي يا عزيزتي، وننسى  
الفقر والبؤس!

وتذكرت وردة شعوكا وعصابتة، فخرجت مُسرعة نحو الصخرة.

كان البحر يمدُّ، والموجُ يرشُّ الفئرانَ الخمسة من أسفل، مُهدِّداً بإغراقها. . . . وكانت القطعة تحرسُ الشقَّ، وتُدخلُ فيه مخالبها الحادة بين الفينة والفينة، لعلها تختطفُ واحداً منها. . . . وكلما ارتطمت موجة بالصخرة ارتاع الفئرانُ، وصعدوا قليلاً إلى أعلى، واقتربوا من القطعة القاعدة لهم بالمرصاد!

وأطلت وردة عليهم، وقالت:

- هل تُبثِّم إلى الله من جرائمكم؟

فجاءتها أصواتهم الآدمية:

- نعم! نعم! نُقسِمُ لكِ ألا نعود أبداً!

- أقسموا كذلك أن تُنظفوا أبدانكم وملابسكم.

- نُقسِم، نُقسِم!



- وأن تعودوا إلى المدرسة ولا تغادروها حتى تَتِمُّوا دراستكم!

- نقسم ، نقسم !

- وإذا حَشَّتم في قَسَمِكُمْ فأنتم تعرفون ما ينتظركم .

ثم أخرجت الصولجان ، وأبعدت القطعة عن الشق ،  
وأمرتهم بالخروج . وحين خرجوا وجَّهَتْهُم نحوهم وقالت :

- يا صولجان الحكمة ، أرجعهم إلى شكلهم الآدمي ياذن

الله !

وفي رمشة عين تحولوا إلى أولادٍ كما كانوا . . . وحين رأتهم  
القطعة أطلقت سيقانها للريح حتى اختفت في المقبرة . . .

وطلب شعكوك من وردة أن تُصَبِّحَ رئيسة العصابة ، فقبلت  
قائلة :

- من الآن فصاعدا سيكون شعارُ عَصَائِنَا «الجدُّ في  
الدراسة ، ومساعدة المرضى والفقراء ، والرفق بالحيوان» .

وهتَفَ أفرادُ العصابة باسمها :

«عاشت وردة . عاشت وردة» .

وعادت وردةً إلى دارِها وقد نَزَلَ الظلامُ . ولم تجذُ أباهَا هناك ،  
فسألت أمَّها عنه فقالت لها : «إنَّهُ ذهبَ إلى جامعِ الحيِّ لصلاةِ  
العِشاءِ مع الجماعةِ» .

وفي تلكَ اللحظةِ دخلَ الحاجُّ مومِنٌ باسمًا مُشرقَ الوجهِ ،  
فسأله زوجته خَفْصَةُ :

- هل لقيتَ في المسجدِ أحدًا من أصدقائِكَ القُدَماءِ ؟  
- لقيتُهم جميعًا . وكلَّهم عَرَضُوا عَلَيَّ أن يبحِثُوا لي عن  
عملٍ معهم .  
- الحمدُ لله !

وتعَشَّى الثلاثةُ ، ووضعتُ وردةُ رأسها على رُكبةِ أبيها وهو  
يحكي لها قِصصًا من السيرةِ النبويةِ ، حتَّى غرِقَتْ في نومٍ عميقٍ .  
وحينَ حملتها أمُّها لتضعَهَا في فراشها كانت تحتَضِنُ صَوْبَ لِحَافِ  
الحكمةِ بِقُوَّةٍ إلى صَدْرِهَا .

ونام الجميعُ تلكَ الليلةَ في هدوءٍ وطُمأنينةٍ .

وقُبِّلَ أذانِ الفجرِ استيقَظَتْ وردةٌ على صوتِ همسٍ خفيفٍ،  
ففتحتُ عينيها، فإذا بها وجهًا لوجهٍ مع آختو، الأخطبوطِ .

كانت عيناهُ تلمعانِ في أشعةِ النجومِ، وهو يَطلبُ منها ألاَّ  
ترفعَ صوتَها، ويهمسُ في أذنها :

- جئتُ إليكِ مُخاطرا بحياتي عبرَ اليا بسةِ ؛ لأنَّ صديقنا  
ضاحكًا الدلفين في خطرٍ كبيرٍ!

فجلستُ وردةٌ في فراشِها منزِعجةً، وقالت :

- يا إلهي !

ثم وضعت يدها علي فَمِها، وحملتُ آختو في كفِّها،  
وخرجتُ به، وهي تسأله :

- ماذا حدثَ له ؟

- وقع في شِبَاكِ المَضْرِبَةِ(\*) . وقريبًا سيقتلونهُ رميًا  
بالرَّصاصِ ؛ لأنه يُهَيِّجُ التُّونَ، وبقيةَ الأسماكِ الأخرى بوجودِهِ  
بينها . . . !

---

(\*) المضربة : مصيدة ضخمة من الشباك المدلاة من مراكب الصيد لاصطياد التون .

- وماذا سنفعلُ لإنقاذه ؟

- إذا أعطيتني صولجانَ الحِكْمة فسأذهبُ أنا وأمِّي الآن  
لإنقاذه وإخراجه من الشبكة .

فأخرجتُ وردةَ الصولجانَ من صدرَيْتِها ، وأسْرَعْتُ بِأختي  
نحوَ الشاطئِ قائلة :

- لم تُعْدُ بي حاجةً إلى الصولجان . . . فقد تحقَّقتُ جميعُ  
أمنياتنا !

ووضعتُ أختي داخلَ الماءِ ، وناولتُ الصَّولجانَ ، وكانت أمُّه  
شُعْلة في انتظاره ، فذهبا مُسرِعينِ إلى حيثُ يوجدُ ضاحك .

وعادت هي إلى الدَّار سعيدةً بصداقتها مع هذه الحيواناتِ  
الطيبةِ الوفيَّةِ . واستلقت فوق سريرها ، ونامت . . .

وفي الصباح حين أيقظتها أمُّها سألتها :

- أين صولجانُ الحكمة ؟

- أعدتهُ إلى صديقي آختر لِيُنْقِذَ به صديقنا ضاحكا الذي  
وقع في شَبَكَةِ المَضْرَبَةِ . لماذا تسألين عنه ، يا أمِّي ؟ هل بكِ  
حاجةٌ إليه ؟ فابتسمت الأمُّ وضمت صغيرتها إليها ، وقالت :

- لا يا عزيزتي ، لم تعد بي حاجةٌ إليه .











## هذه السلسلة

تضم هذه السلسلة مجموعة مختارة من القصص والروايات التربوية التشويقية المختارة للكاتب المغربي المعروف أحمد عبد السلام البقالي، الحاصل على جائزة «المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم».



وهي موجهة للشباب بأسلوب الأستاذ البقالي السلس، وخياله الخصب، وخطوته السريعة التي تنقل القارئ من مفاجأة إلى أخرى، ومن عالم إلى آخر، يقرب للقارئ أحداث الماضي البعيد، ويلقي الأضواء على عالم المستقبل، بالبراعة نفسها التي يتناول بها الحاضر غرابة؛ فالبقالي من أبرع كتاب القصة البوليسية العلمية الحديثة للشباب في العالم العربي.

Bibliotheca Alexandrina  
مكتبة الإسكندرية



0309351

مكتبة الإسكندرية

96060507000073



ردمك ٩ - ٢٤٢ - ٢٠ - ٩٩٦٠